القراءة الراشدة

لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية

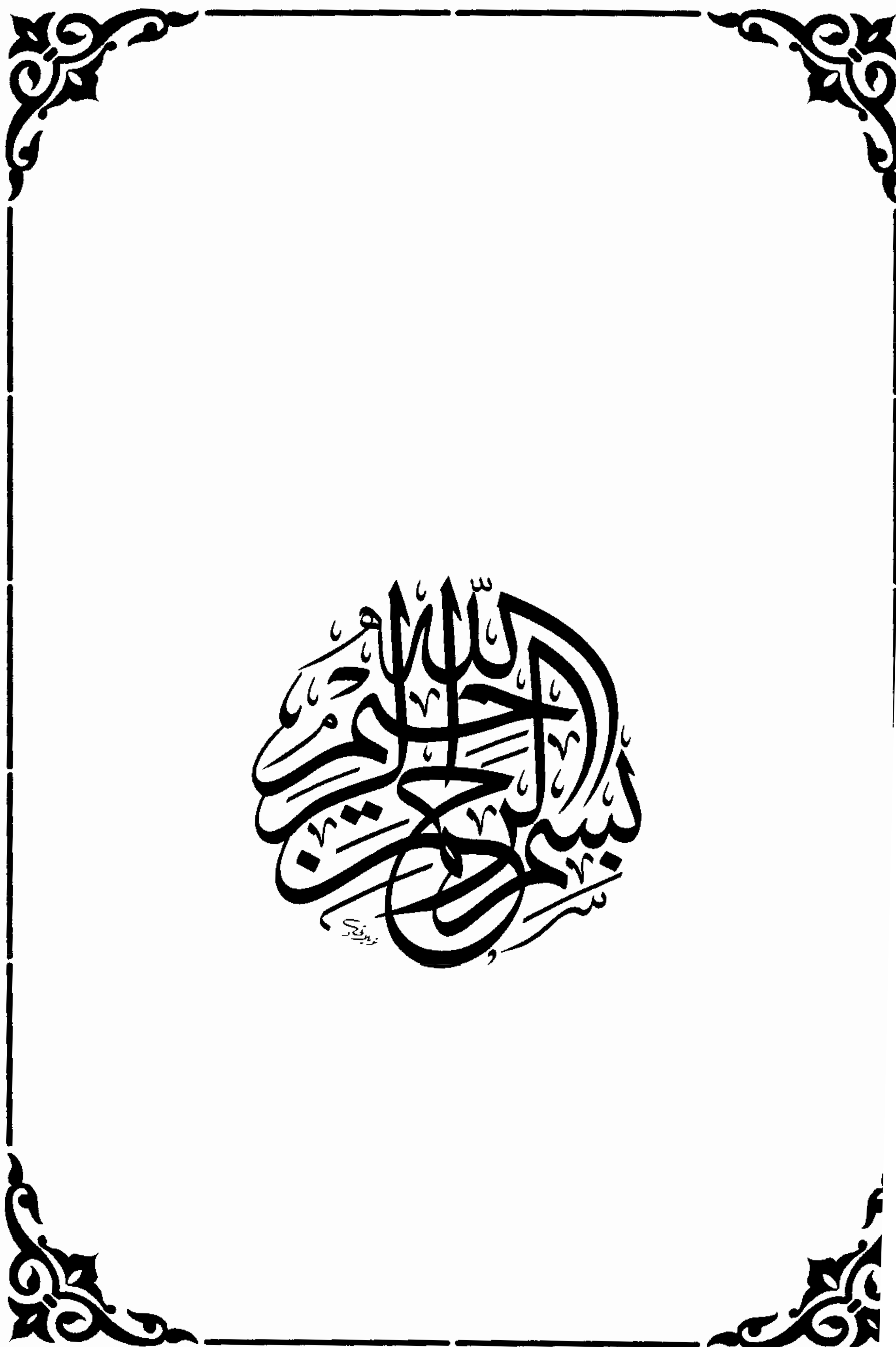
تأليف

أبي الحسن علي الحسني الندوي

راجعه وشرح ألفاظه

سيد عبد الماجد الغوري

الجزء الأول


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ وبعد:

فلا يخفى على من يعرف العلامة الشيخ السيد أبا الحسن علي الحسني الندوي ـ رحمه الله ـ ما قام به من أعمالٍ جليلةٍ ، وجهود عظيمةٍ لخدمة الأدب العربي والإسلامي ، والَّتي توَّجها ـ حفظه الله ـ أخيراً بتأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالية ، والَّتي لا تزال تنمو وتزهر في ظل رعايته ، وذلك إلى جانب مصنفاته القيمة الَّتي أثرت المكتبة الإسلامية.

وقد اعتنى العلامة الندوي بالكتابة للأطفال والناشئين ، بوصفهم رجال الغد ، وصنَّاع مستقبل الأمم ، فكتب مجموعةً من الكتب منها «قصص النبيين للأطفال» و«قصص من التاريخ الإسلامي» في لغةٍ سهلةٍ ، وأسلوبٍ عذبٍ سلس مشوّق مضمِّناً إياها من المعاني والقيم ، والدروس والعبر ، ومن المبادىء

والمُثُل حتى قال أحد كبار علماء الهند الشيخ عبد الماجد الدريابادي: «إنها علم توحيد جديد للأطفال».

ولعل هذا الكتاب الَّذي بين يديك ـ عزيزي القارىء ـ من أهم حلقات تلك السلسلة الذهبية في أدب الأطفال، إذ بدأ العلامة بتأليفه ـ كما يذكر في مقدمة هذا الكتاب ـ حين شعر بمسيس الحاجة إلى كتاب يؤلَّف للناشئة المسلمة للتدريس في المعاهد والمدارس، يحتوي على مواد اللغة والأدب المتنوعة بأسلوب متدرج ملائم، ولغةٍ أدبية دينية عليها مسحة من جمال أدب الكتاب والسنة، ويكون استعمال كلماته المستحدثة الَّتي لها أصل عربي واشتقاق صحيح لموضوعات عصرية، وتتكرر فيه المفردات العربية ليتمرَّن عليها الطالب، وتتنوع موضوعاته ومواده لينشط الطالب ويحصل منها فضلاً عن الفائدة العلمية إلى حكاية تاريخية ممتعة شيقة، ومن نثر إلى شعرٍ أو نشيدٍ.

فبدأ العلامة بتأليفه سنة ١٩٤٤ م، وفرغ منه سنة ١٩٤٦ م، مراعياً خلال التأليف ـ غير جميع ما ذكرناه ـ ألا تخلو موضوعاته ـ قدر المستطاع ـ من موعظةٍ دينيةٍ وموضع عبرةٍ، وأن يستنتج منها الطالب فائدة خلقية ودينية، وأدباً إسلامياً بحيث لا يشعر بأنها تلقى عليه إلقاءً، بل يحفظها عفواً في ثنايا الدروس والحكايات.

وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٩٤٧ م ، ونالَ منذ يومه الأول قبولاً حسناً ورواجاً عاماً ، وقرر في كثير من المدارس الشرعية والمعاهد العصرية الرسمية في الهند وخارجها في البلاد الإسلامية.

وقد شعرت خلال قراءتي ومراجعتي لهذا الكتاب بالحاجة إلى شرح بعض الألفاظ وأسماء بعض البلدان الهندية وغيرها من البلاد الأخرى الَّتي يصعب على الطالب فهمها ، فشرحت وعلقت ما وسعني فيه الجهد ، وعلى الله قصد السبيل.

تلميذ المؤلِّف

٣/ جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ　　　　**عبد الماجد الغوري**

التعريف بمؤلِّف الكتاب

اسمه ونسبه:

* علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، ينتهي نسبه إلى عبد الله الأشتر بن محمّد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن (المثنى) بن الإمام الحسن السبط الأكبر بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، أول من استَوْطَنَ الهند من هذه الأسرة في أوائل القرن السابع الهجري هو الأمير السيّد قطب الدين المدني (٦٧٧ هـ).

* أبوه العلاّمة الطبيب السيّد عبد الحيّ الحسني الذي استحق بجدارة لقب: «ابن خلكان الهند» «لمؤلفه القيم» «نزهة الخواطر» في ثماني مجلدات عن أعلام المسلمين في الهند وعمالقتهم ، طُبِعَ أخيراً باسم «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام».

* أمّه ـ رحمها الله ـ كانت من السيّدات الفاضلات ، المربّيات النادرات ، المؤلّفات المعدودات ، والحافظات للقرآن الكريم ، تقرض الشعر ، وقد نظمت مجموعة من الأبيات في مدح رسول الله ﷺ .

ميـلاده ونـشـأتـه :

* أبصرَ النورَ في ٦ محرم ١٣٣٣ هـ الموافق عام ١٩١٤ م بقرية «تكية كلان» الواقعة قرب مديرية رائي بريلي في الولاية الشمالية (أترابرديش) .

* بَدَأَ دراسته الابتدائية من القرآن الكريم في البيت، ثم دَخَلَ في الكُتَّاب حيث تعلّم مبادىء اللغتين (الأردوية والفارسية) .

* توفي أبوه عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) وكان عمره يتراوح آنذاك بين التاسعة والعاشرة ، فتولّى تربيته أمّه الفاضلة ، وأخوه الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني الذي كان يدرس آنذاك في كلية الطب بعد تخرّجه من دار العلوم ديوبند الإسلامية ودار العلوم ندوة العلماء ، وإليه يرجع الفضل في توجيه وتربية العلامة الندوي .

* بدأ دراسته العربية على الشيخ خليل بن محمّد الأنصاري اليماني في أواخر عام ١٩٢٤ م ، وتخرّج عليه مستفيداً في الأدب

العربي ، ثمّ توسَّعَ فيه وتخصَّصَ على الأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي عند مقدمه إلى ندوة العلماء عام ١٩٣٠م .

* التحق بجامعة لكهنؤ فرع الأدب العربي عام ١٩٢٧ م ، ولم يتجاوز عمره آنذاك الأربعة عشر عاماً ، وكان أصغر طلبة الجامعة سناً ، ونالَ منها شهادة فاضل أدب في اللغة العربية وآدابها ، قرأ خلال أيام دراسته في الجامعة كتباً تعتبر في القمة في اللغة العربية والأردوية ، ممّا أعانه على القيام بواجب الدعوة وشرح الفكرة الإسلامية الصحيحة ، وإقناع الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية ، وتَعَلَّم الإنجليزية مما مكّنته من قراءة الكتب المؤلفة بها في التاريخ والأدب والفكر .

* التحق بدار العلوم ـ ندوة العلماء عام ١٩٢٩ م وقرأ الحديث الشريف (صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي) حرفاً حرفاً مع شيء من تفسير البيضاوي على العلاّمة المحدّث الشيخ حيدر حسن خان الطونكي ، ودرس التفسير لكامل القرآن الكريم على العلاّمة المفسر المشهور أحمد علي اللاّهوري في لاهور عام ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م ، وحَضَرَ دروس العلاّمة المجاهد حسين أحمد المدني في صحيح البخاري وسنن الترمذي خلال إقامته في دار العلوم ديوبند ، واستفاد منه في التفسير وعلوم القرآن أيضاً .

جهـوده العلميـة ونشاطاتـه الدعويّـة:

* انخرَطَ في سلك التدريس من عام ١٩٣٤ م ، وعُيِّنَ أستاذاً في دار العلوم ندوة العلماء لمادتي التفسير والأدب ، خلال تدريسه في دار العلوم ندوة العلماء استفاد من الصحف والمجلاّت العربية الصادرة في البلاد العربية ، ممّا عرفه على البلاد العربية وأحوالها ، وعلمائها وأدبائها ومفكريها عن كثب ، واستفاد أيضاً من كتب المعاصرين من الدعاة والمفكرين العرب وفضلاء الغرب والزعماء السياسيين.

* قام برحلة استطلاعية للمراكز الدينية في الهند عام ١٩٣٩ م ، تَعَـرَّفَ فيهـا علـى الشيـخ المـربّـي العـارف بـالله عبد القادر الرأي فوري والداعية المصلح الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، وكان هذا التعرّف نقطة تحوّل في حياته ، وبَقِيَ على الصلة حتى وافاهما الأجل المحتوم ، وتَلَقَّى التربية الروحية من الشيخ عبد القادر الرأي فوري واستفاد من صحبته ومجالسته ، وتَأَسَّى بالشيخ محمّد إلياس الكاندهلوي في القيام بواجب الدَّعوة وإصلاح المجتمع ، وقَضَى زمناً طويلاً في رحلات وجولات دعوية متتابعة للتربية والإصلاح والتوجيه الديني في الهند وخارجها.

* أسَّسَ مركزاً للتعليمات الإسلامية لتنظيم حلقات درس

القرآن الكريم والسنة النبوية عام ١٩٤٣ م ، وأَسَّسَ حركة رسالة الإنسانية بين المسلمين والهندوس عام ١٩٥١ م ، والمجمع الإسلامي العملي بدار العلوم ـ ندوة العلماء في لكهنؤ عام ١٩٥٩ م.

* عُيِّنَ أميناً عاماً لدار العلوم ندوة العلماء عام ١٩٦١ ، (ولا يزال يترأس أمانتها إلى يوم وفاته).

* شارك في تأسيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابرديش) عام ١٩٦٠ م ، وفي تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند عام ١٩٦٤ م ، وفي تأسيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند عام ١٩٧٢ .

أهمّ مؤلفاته:

* نُشِرَ له أول مقال بالعربية في مجلّة «المنار» للعلاّمة السيّد رشيد رضا المصري عام ١٩٣١ م حول شخصية الإمام السيّد أحمد بن عرفان الشهيد ، وكان عمره ـ آنذاك ـ أربعة عشر عاماً.

* ظهَرَ له أوّل كتاب بالأردوية عام ١٩٣٧ م يحمل اسمه «سيرة أحمد شهيد» ونَالَ قبولاً عاماً في الأوساط الدينية والعلمية في الهند وباكستان.

* بدأ سلسلة تأليف الكتب المدرسية بالعربية ، وظَهَرَ أوّل

كتاب فيها بعنوان «مختارات من أدب العرب» عام ١٩٤٠م، و«قصص النبيين» للأطفال و«القراءة الراشدة» عام ١٩٤٤م. وقررت جميع هذه الكتب في مقرّرات جامعات البلدان العربية والهندية.

* أَلَّفَ كتابه المشهور «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» عام ١٩٤٤ م.

* دُعِيَ أستاذاً زائراً في كلية الشريعة جامعة دمشق عام ١٩٥٦م، وألْقىٰ محاضرات بعنوان «التجديد والمجدّدون في تاريخ الفكر الإسلامي» نُشِرتْ بعد ذلك في شكل كتاب مستقلّ ينضوي تحت أربع مجلدات باسم «رجال الفكر والدعوة في الإسلام».

* أَلَّفَ كتابه حول القاديانية بعنوان «القادياني والقاديانية» عام ١٩٥٨ م، وكتابه «الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية في الأقطار الإسلامية» عام ١٩٦٥ م وكتابه «الأركان الأربعة» عام ١٩٦٧ ، و«السيرة النبوية» عام ١٩٧٦ م ، و«العقيدة والعبادة والسلوك» عام ١٩٨٠ و«المرتضىٰ» في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عام ١٩٨٨ م.

* شارك في تحرير مجلة «الضياء» العربية الصادرة من دار العلوم ـ ندوة العلماء عام ١٩٣٢ ومجلّة «الندوة» الأردوية

الصـادرة منهـا أيضـاً عـام ١٩٤٠ ، وأَصْـدَر مجلّـة بـاسـم «تعميرحيات» في الأردوية عام ١٩٤٨ م ، وكَتَبَ مقالات في الأدب والدعوة والفكر في أمهات المجلاّت العربية الصادرة من مصر ودمشق كـ: «الرّسالة» للأستاذ أحمد حسن الزيات و«الفتح» للأستاذ محب الدين الخطيب و«حضارة الإسلام» للدكتور مصطفىٰ السباعي.

* أشْرَفَ على إصدار جريدة «نداي ملّت» الأردوية عام ١٩٦٢ م ، وكذلك أشرف على مجلّة «البعث الإسلامي» العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٥ م وجريدة «الرائد» العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٩ م ومجلة «تعميرحيات» الأردوية الصادرة منذ عام ١٩٦٣ م ، وكلها تصدر من دار العلوم ـ ندوة العلماء في لكهنؤ ، (الهند).

رحـلاتـه:

* سافَرَ إلى الشرق والغرب مرات داعيةً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، عاملاً على إعلاء كلمة الإسلام بالكلمة المسموعة والمقروءة وبالعمل الإيجابيّ البنَّاء في كل مجال ، جواباً للآفاق في سبيل الله ، محاضراً ، ومحدثاً ، ومحاوراً ، واعظاً وهادياً ، ومشاركاً بالرأي والفكر في المجالس العلمية ،

والمجامع الجامعية والمؤسسات الإسلامية ، والمؤتمرات والندوات فيهما[1] .

تقدير وتكريم :

* انتخبه مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة والأردن عضواً مراسلاً لما اتصف به من العلم الجمّ ، والبحث الدقيق في ميادين الثقافة العربية والإسلامية ، ولمساعيه المكثفة المشكورة في سبيلها .

* اختير عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ تأسيسها عام ١٩٦٢ م .

* اختير عضواً في رابطة الجامعات الإسلامية منذ تأسيسها عام ١٩٧١ م .

* اختير لاستلام جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٨٠ م ، لتأليفه القيم «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» .

* منح شهادة الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة كشمير عام ١٩٨١ م .

---

(١) انظر للاطلاع على جميع هذه الرحلات كتاب الشارح «رحلات العلامة أبي الحسن علي الندوي ، مشاهداته ـ محاضراته ـ لقاءاته ـ انطباعاته» صدر عن دار ابن كثير ، دمشق عام ٢٠٠٠م .

* اختير رئيساً لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن عام ١٩٨٣ م.

* اختير عضواً في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية وللبحث والتأليف والتحقيق في عمّان (الأردن).

* اختير رئيساً عاماً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) عام ١٩٨٤ م.

* أقيمت ندوة أدبية كبيرة حول حياته وجهوده الحثيثة ومساعيه المشكورة، ومفاخره العظيمة في مجال الدعوة والأدب عام ١٩٩٩ م في إستانبول «تركيا».

* اختير لاستلام جائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩ هـ لخدماته الجليلة ومآثره العظيمة في مجال الدعوة الإسلامية، وقَدَّمَ إليه الجائزةَ ولي العهد لحكومة الإمارات العربية المتحدة سمو الشيخ محمد بن راشد المكتوم.

رئاسته وعضويته للجامعات والمجامع:

* تولَّىٰ العلامة الرئاسةَ والعضويةَ لعدة جامعات إسلامية ومجامع عربية ومنظمات دعوية ومراكز دينية في العالم الإسلامي وخارجه، ومنها على سبيل المثال:

الأمين العام لدار العلوم ـ ندوة العلماء (الَّتي أخذت صفة

العالمية منذ ترأس أمانتها ، وتَفَوَّقَتْ على معظم جامعات العالم الَّتي تَهْتَمّ بشؤون الدراسات الإسلامية والعربية لأنَّها تجمع بين القديم الصالح والجديد النافع).

رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض).

رئيس المجمع الإسلامي العلمي في لكهنؤ (الهند).

رئيس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية (إنجلترا).

رئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند.

رئيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابرديش).

عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

عضو المجلس التأسيسي الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة.

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

عضو مجمع اللغة العربية الأردني.

عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بالأردن.

عضو رابطة الجامعات الإسلامية بالرباط.

عضـو المجلـس الاستشـاري الأعلـى للجـامعـة الإسـلاميـة بالمدينة المنورة.

عضـو المجلـس الاستشـاري الأعلـى للجـامعـة الإسـلاميـة العالمية بإسلام آباد (باكستان).

عضو المجلس الاستشاري بدار العلوم ديوبند الإسلامية (الهند).

* وعدا ذلك تولّى العلامةُ الرئاسة والعضوية لكثير من الجامعات الإسلامية، والمراكز الدينية والمنظمات الدعوية ولجان التعليم والتربية في العالم الإسلامي وخارجه. توفي ـ العلامة ـ في ٢٢ من شهر رمضان المبارك ١٤٢٠هـ (الموافق ٢١ من شهر ديسمبر ١٩٩٩م) في الهند عقب نوبة قلبية مفاجأة، فدفن في مسقط رأسه «تكية كلان»، رحمه الله وتغمَّده في وسيع جناته[1].

* * *

---

(١) انظر كتاب «أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب» للشارح، للاطلاع على حياة سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، وجهوده الحثيثة في خدمة الدعوة الإسلامية، ومآثره القيمة في مجال الأدب، وموقفه من القضايا الإسلامية والعربية، وتعريف بأهمّ مؤلّفاته، صَدَرَ عن «دار ابن كثير دمشق ـ بيروت عام ١٩٩٩ م».

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة عن الكتاب

(بقلم العلامة المؤلف ـ رحمه الله ـ)

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى أما بعد ، فإن الهند منذ فتحها الإسلام لا تزال تدين بتدريس اللغة العربية ، وتعتقد أنها لغة الإسلام ، ومفتاح كنوزْ الكتاب والسنة ، ونبغ فيها أدباء ومؤلفون في اللغة العربية يتجمل تاريخ الإسلام بذكرهم ، وتزدان بمؤلفاتهم مكتبة الإسلام العامرة.

انقرضت من الهند دولة المسلمين ولم يطو بساط المدارس الإسلامية ، فلا تزال مصابيحها تضيء بين عواصف ورياح هوجاء ، وهي الآن تعد بالآلاف ، والمتعلمون فيها يربو عددهم على إحصاء بعض البلاد الإسلامية.

ولم يزل للهند منهاج خاص في العلوم العقلية والرياضية

والعلوم الآلية ، من وضع علماء الهند أو من اختيارهم ، نال قبولاً في الأقطار الإسلامية البعيدة ، فكانت مؤلفاتهم وشروحهم تدرس ، ويتمجد العلماء بتدريسها والاقتدار على شرحها ، ويتظرف الطلبة بدرسها وفهمها حتى كان منهاج الدرس النظامي من اختيار العلامة نظام الدين اللكهنوي (م ١١٦١ هـ) ومن وضع نجباء تلاميذه وتلاميذهم ، فكان له دوي في العالم الإسلامي ، ونفوذ عجيب في الأوساط العلمية.

بجانب هذه الثروة العلمية الضخمة والغنى الوافر في ناحية علوم الحكمة ـ كما يسميها القوم ـ ترى عوزاً شائناً وتفريطاً عظيماً في ناحية اللغة العربية ، فإذا أسقطنا من منهاج الدرس قسط الشعر وصرفنا النظر عن كتاب الحماسة والمعلقات السبع وديوان المتنبي ـ فإن كل ذلك لا يعلم اللغة ولا يمرن على الكتابة والخطابة ، بل يروض الفكر ويفتح القريحة ويبعث الذوق ـ لم نجد في منهاج درسنا القديم ما يتعلم به الطالب اللغة ويتعرف بها غير مقامات الحريري ، والمقامات ـ كما يعرف القارىء ـ مثال للنثر الفني والأدب الصناعي ، وإذا شئت قلت مثال لفن البيان والبديع لا للنثر العربي الطبعي السلسال ، ولا يمكن أن يتعلم بها الطالب مبادىء اللغة العربية ، ويتدرب على الكتابة والخطابة ويقضي حاجة في نفسه ، ومن ثم كان من

حظ الأدباء والمنشئين في العربية في هذه البلاد النثر المقيد المغلول ، والأدب السقيم المسلول ، والقلم المنثلم المغلول ، واللسان المتلجلج الخذول .

درج على ذلك أجيال خلف أجيال ، وانسلخت قرون إثر قرون ، ولا ندري كيف كان ذلك إلا أنا لا نرى كتاباً في النثر العربي يدرس في المدارس غير المقامات إلى القرن الثالث عشر الهجري ، حتى جاء الشيخ أحمد الشرواني من اليمن وألف كتاباً صغيراً يشتمل على قصص وحكايات فكاهية ، ونوادر وملح وأبيات ، وسماه «نفحة اليمن» فاهتبله علماء الهند كأنما هبط من علياء لما هم فيه من فاقة إلى كتاب يدرسه الطلبة قبل المقامات ، وعضوا عليه بالنواجذ ، وهم منذ ذلك اليوم عكوف عليه لا يرون منه محيصاً .

وشعر بعض الأوساط بما فيه من خلل وخطل ، وسوء تمثيل للحضارة الإسلامية وسيرة المسلمين السلف ، وعبث بعقلية الأطفال الأبرياء بما فيه من مجون وهزل ، فاستعاروا كتباً مؤلفة من البلاد العربية ، ولكن سرعان ما علموا أنها على نقاء لغتها وحسن وضعها واحتوائها على مادة علمية نافعة لا توافق ذوق المسلمين في الهند وباكستان وما جاورها من البلاد ، ولا تقضي حاجة رجال التعليم في هذه البلاد ، وتشتمل على

مادة في تاريخ البلاد التي ألفت فيها ، وتراجم رجالها البلديين ، وجغرافية تلك البلاد ، إن أبناء هذه البلاد في غنى عن معرفتها فضلاً عن حفظها ، وإن أبناء الهند وغيرها من الأقطار الإسلامية في حاجة إلى معرفة المهم والممتع من جنسها مما يخص بلادهم ، أو مما يعم المسلمين جميعاً.

فترى مثلاً في الجزء الأول من القراءة الرشيدة التي وضعتها وزارة المعارف العمومية في مصر ، والتي تدرس في بعض المدارس العربية في الهند ، درساً عن جزيرة الروضة في القاهرة ، ونشيداً عن مصر العزيزة ، ودرساً عن عيد وفاء النيل ، وفي الجزء الثاني حواراً بين مصر والإسكندرية ، ودرساً عن الأهرام والقناطر الخيرية ، وعن محمد علي باشا ، وقس على ذلك بقية الأجزاء ، وقس عليها السلاسل الأخرى.

ماذا يهم الطالب الهندي أو الباكستاني أو الحجازي أو الأفغاني ، من معرفة هذه الموضوعات المصرية ، ولماذا يحفظ نشيد الفخر المصري ويتغنى:

مصر العزيزة لي وطن وهي الحمى وهي السكن
وهي الفريدة في الزمن وجميع ما فيها حسن

ولماذا يعترف وهو في مرحلة التعليم الأولي بعظيم مصر محمد علي باشا ، وهو أحق بمعرفة من هو أعظم من خديوي

مصر وأهم في التاريخ الإسلامي ، كذلك يعز على الطالب الصغير الذي لم ينشأ في مصر أنْ يفهم الدروس الخاصة بمصر ، لبعده عن الديار المصرية ، وجهله للعوائد والتقاليد المصرية كما ترى في درس عيد وفاء النيل.

أفلا يحسن بنا أن نبدل منها دروساً في السيرة النبوية ، وفي تاريخ الإسلام ، وعن رجال الإسلام وأئمته ، وإذا كان لا بد من موضوعات بلدية ـ وإنها لا شك منشطة لذهن الطالب الصغير ـ فلماذا لا نضع دروساً عن الأمكنة والآثار والأبنية الوطنية التي شادها المسلمون في البلاد ، وعن أعياد ومواسم إسلامية ، فإذا كان ذلك في الهند أو باكستان مثلاً ، نضع للطالب درساً خاصاً ببلاده أو عاماً للمسلمين ، كدروس عن آثار الملوك الإسلاميين في هذه البلاد أو في العالم الإسلامي.

وكذلك في الرجال هو أحق بمعرفة فاتحي الهند والغزاة المنتصرين والملوك الصالحين ، ورجال العلم والدين الذين أنجبتهم أرض الهند.

زد على ذلك كله أن هذه الكتب المؤلفة في البلاد العربية عارية عن الروح الديني لمصالح تعليمية وسياسية في تلك البلاد ، أو لثقافة أبنائها الحديثة ، ولا يرضى المسلم في شبه قارة الهند أن يجرد اللغة العربية وأدبها من الروح الديني ،

ويدرس اللغة العربية كلغة بشرية عامة لها أدبها وجمالها ، لأن صلة العجم باللغة العربية إنما هي عن طريق الدين والكتاب المبين ، وسنة سيد المرسلين عليه الصلاة والتسليم ، وإنما يعنيه أمر اللغة العربية لأنها لغة لا يتوصل بغيرها إلى منابع الدين ومشارعه الصافية ، فيجب أن يستعان بها على دراسة الكتاب والسنة بغير واسطة. ويتقرب إلى تلك البيئة التي نبع منها الأدب الإسلامي بأوسع معنى الكلمة ، فإذا انقطعت الصلة بين اللغة والدين والأدب الإسلامي كان للهندي ولكل عجمي قليل رغبة في هذه اللغة الكريمة.

كل ذلك كان يطالب بأن يكون للمسلمين في بلاد العجم منهاج درس خاص بهم ، يضعونه وفقاً لشؤونهم الخاصة ، وتبعاً لطبيعتهم الدينية.

إن عاراً على المسلمين الهنديين والباكستانيين ـ وقد ظفروا بالاستقلال السياسي ـ أن لا يكون لهم استقلال في مناهج التعليم ، مع أن الاستقلال العلمي والفكري مقدمان على الاستقلال السياسي ، وكل استقلال سياسي لا يسبقه أو لا يدعمه استقلال علمي فكري ، تطرق إليه الوهن سريعاً ، وتسرب فيه الرق الفكري أو العلمي ، ثم تبعه الرق السياسي.

كان من أهم الواجبات في هذه الأيام أن يعنى العلماء

ورجال التعليم الديني بوضع منهاج تعليمي رشيد حكيم يفوق مناهج التعليم اللادينية في السهولة وتوفير الوقت ومراعاة نفسية الصغار ، ويمتاز عنها في التربية الخلقية والدينية وتهذيب النفس ، مع إفادة الطالب بكل ما تهم معرفته من الشؤون الكونية والتاريخية والمواد العامة ، مبنياً على أحدث مبادىء التعليم واختياراته.

وكان من حق هذه المهمة العلمية الدينية الجليلة ـ ولها خطرها وأثرها في حياة المسلمين وفي مستقبل التعليم الديني ـ أن تتألف لها لجان من العلماء والمعلمين الكبار وأصحاب المعاهد الجليلة ، وأن يبذلوا في سبيلها قسطاً صالحاً من أوقاتهم وجهودهم ، وأن يقدموها على كثير من أشغالهم العلمية والسياسية ، فإن هذه المهمة الواسعة المعقدة لا يستقل بها الأفراد ، وإنها لتنوء بالعصبة أولي القوة ، ولكن العلماء ـ مع الأسف ـ في شغل شاغل عن هذا العمل الجدي الذي يقتضي صبراً طويلاً وعناء شديداً واختياراً واسعاً وتعاضداً قوياً ، ثم إنه كثير الخطر بطيء الأثمار قليل الاشتهار.

إن خطر هذه المهمة وجلالتها وإن الأخطار المحدقة بنظام التعليم الديني التي تهدد حياة المسلمين الدينية ، واشتغال الأكفاء عنه بما هو أهم لديهم منه ، حث مؤلف هذه الكتب

على أن يكون جندياً مغامراً في سبيل هذا الجهاد ، وأن يكون عاملاً صغيراً في مهمة التعليم الديني ، وأن يؤدي من حقوق هذه اللغة الكريمة ، ومن حقوق المعلمين الذين حببوا إليه هذه اللغة وسهلوها له ما يستطيع ، وأن يقوم بإذن الله بجزء من أجزاء هذا العمل الجليل رغم ضعف صحته وتشتت باله ، وانشعاب فكره وتزاحم أشغاله وكثرة أسفاره.

قام المؤلف أولاً بوضع مجموعة المختارات في الأدب العربي ، فجاءت بإذن الله تعالى مجموعة تمثل الأدب العربي الإسلامي في جميع مظاهره ومناحيه الأدبية والتاريخية والتهذيبية من العصر الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري ، تجمع بين ألوان الأدب العربي المختلفة وبدائعه من وحي سماوي وبلاغة نبوية ، وخطب لأشهر خطباء العرب في أزهر عصور العربية وروايات وقصص ورسائل وكتب ، ومناقشات ومحاورات ورحلات وأحاديث منزلية متبسطة ، وجد وهزل وحكمة ولهو ، تلقاها بعض الدوائر العلمية والمعاهد ـ على بطء ـ بالقبول ، وأدخلتها في مناهج الدرس.

ثم رأى المؤلف كتباً صغيرةً لبعض أدباء مصر في حكايات الأسد والذئاب ، والقردة والدباب ، حتى الخنازير والكلاب ، فصيحة العبارة قليلة المغزى ، عربية الوضع أفرنجية الروح ،

إسلامية اللغة جاهلية السبك ، فيها صور الحيوانات في اللباس الغربي ، فساءه أن لا يقرأ أبناء المسلمين في العربية أيضاً إلا قصص الحيوانات والأساطير والخرافات ، فكتب لهم قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، بأسلوب سهل يحاكي أسلوب الأطفال وطبيعتهم من تكرار الكلمات والجمل ، وسهولة الألفاظ وبسط القصة ، وزين الكتاب بصور مناظر الطبيعة والأبنية المقدسة ، وقد وصفها المرحوم الأستاذ مسعود عالم الندوي بأنها تعلم مبادىء الدين أولاً والأدب ثانياً.

ثم رأى المؤلف أن كل ذلك لا يسد مسد سلسلة القراءة التي تحتوي على مواد في اللغة والأدب متنوعة بأسلوب تدريجي ملائم لذوق الناشئة المسلمة الهندية ، ونشء البلاد الإسلامية عامة ، فوضعها في أجزاء واجتهد في:

(١) أن تكون اللغة أدبية دينية عليها مسحة من جمال أدب الكتاب والسنة.

(٢) استعمال الكلمات المستحدثة التي لها أصل عربي واشتقاق صحيح لموضوعات عصرية قد عول المؤلف فيها في الغالب على قرارات مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، حتى لا يلجأ الطالب في استعمال الكلمات العجمية أو الدخيلة ،

أو يكون له لسان أخرس في المناسبات العصرية.

(٣) تكرار المفردات العربية حتى يتمرن عليها الطالب.

(٤) تنوع الموضوعات والمواد لينشط الطالب وينتقل فيها من فائدة علمية إلى حديث ممتع وحوار لذيذ، ومن درس علمي إلى حكاية تاريخية، ومن نثر إلى شعر أو نشيد.

(٥) نقل الحكايات الواردة في الحديث إلى لغة تنشأ على أسلوب الحكايات الموضوعة للأطفال.

(٦) دروس خلقية تهذيبية تعلم الآداب الإسلامية في مختلف نواحي الحياة.

(٧) تضمين الدروس الأدعية المأثورة والآداب الدينية بحيث لا يشعر الطالب بأنها تلقى عليه إلقاء بل يحفظها عفواً في ثنايا الدروس والحكايات.

(٨) الروح الديني الساري في الكتاب بحيث لا يمكن تجريد الكتاب منه، ويعم ذلك الدروس الدينية ودروس المعلومات الكونية والطبيعية والحيوانية والنباتية وعن الاختراعات الحديثة.

وإلى القراء، أصحاب المدارس وأولياء الأطفال الجزء

الأول من هذه السلسلة ، وسيتلوه إن شاء الله الأجزاء الأخرى ، والله المسؤول أن ينفع بهذا الكتاب وبيده العصمة والتوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أبو الحسن علي الحسني
لخمس بقين من رجب ١٣٦٥ هـ
دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

كيْفَ أقضي يَوْمِي

أَنَامُ مُبَكِّراً[١] فِي اللَّيْلِ وَأَقُومُ مُبَكِّراً في الصَّبَاحِ ، أَسْتَيْقِظُ عَلَى اسْمِ اللهِ وَذِكْرِه ، أَسْتَعِدُّ لِلصَّلاةِ ثُمَّ أَذْهَبُ مَعَ وَالِدِي إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَالْمَسْجِدُ قَرِيْبٌ مِنْ بَيْتِيْ ، فَأَتَوَضَّأُ وَأُصَلِّيْ مَعَ الْجَمَاعَةِ ، وَأَرْجِعُ إِلَىٰ الْبَيْتِ وَأَتْلُو شَيْئاً مِنَ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ ، ثُمَّ أَخْرُجُ إِلَىٰ الْبُسْتَانِ وَأَجْرِيْ ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى الْبَيْتِ فَأَشْرَبُ اللَّبَنَ وَأَسْتَعِدُّ لِلذَّهَابِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَأَفْطِرُ إِذَا كَانَتْ أَيَّامُ الصَّيْفِ ، وَأَتَغَدَّىٰ إِذَا كَانَتْ أَيَّامُ الشِّتَاءِ ، وَأَصِلُ إِلى الْمَدْرَسَةِ فِي الْمِيْعَادِ.

وَأَمْكُثُ فِي الْمَدْرَسَةِ سِتَّ سَاعَاتٍ ، وَأَسْمَعُ الدُّرُوْس بِنَشَاطٍ

---

(١) مبكّراً: مُسْرِعاً.

وَرَغْبَةٍ ، وَأَجْلِسُ بِأَدَبٍ وَسَكِيْنَةٍ[1] ، حَتَّىٰ إِذَا انْتَهَى الْوَقْتُ وَضُرِبَ الْجَرَسُ خَرَجْتُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ وَرَجَعْتُ إِلَىٰ الْبَيْتِ.

وَلاَ أَقْرَأُ بَعْدَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ ، وَفِيْ بَعْضِ الأَيَّامِ أَمْكُثُ فِي الْبَيْتِ ، وَفِيْ بَعْضِ الأَيَّامِ أَذْهَبُ إِلَىٰ السُّوْقِ وَأَشْتَرِي حَوَائِجَ الْبَيْتِ[2] ، وَفِيْ بَعْضِ الأَيَّامِ أَخْرُجُ مَعَ أَبِيْ أَوْ أَخِيْ إِلَىٰ بَعْضِ الأَقَارِبِ ، أَوْ أَلْعَبُ مَعَ إِخْوَتِي وَأَصْدِقَائِيْ.

وَأَتَعَشَّىٰ مَعَ وَالِدِيْ وَإِخْوَتِيْ وَأَحْفَظُ دُرُوْسِيْ ، وَأُطَالِعُ[3] لِلْغَدِ وَأَسْتَعِدُّ لِلدَّرْسِ ، وَأَكْتُبُ مَا يَأْمُرُ بِهِ الْمُعَلِّمُ ، وَأُصَلِّيْ الْعِشَاءَ وَأَقْرَأُ قَلِيْلاً ، ثُمَّ أَنَامُ عَلَىٰ اسْمِ اللهِ وذِكْرِهِ.

تِلْكَ عَادَتِيْ كُلَّ يَوْمٍ لاَ أُخَالِفُهَا ، وَأَقُومُ مُبَكِّراً يَوْمَ الْعُطْلَةِ أَيْضاً ، وَأُصَلِّيْ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَأَتْلُو الْقُرْآنَ ، وَأَقْضِيْ الْيَوْمَ فِيْ مُطَالَعَةِ كِتَابٍ وَمُحَادَثَةٍ مَعَ أَبِيْ وَأُمِّيْ وَإِخْوَتِيْ ، وَفِيْ زِيَارَةِ قَرِيْبٍ أَوْ عِيَادَةِ مَرِيْضٍ ، وَأَمْكُثُ أَحْيَاناً فِي الْبَيْتِ ، وَأَخْرُجُ أَحْيَاناً إِلَى الْخَارِجِ.

* * *

---

(١) السكينة: الهدوء ، والطمأنينة.

(٢) حوائج البيت: مرافق البيت.

(٣) طَالَعَ يُطَالِعُ مُطَالعة الكتاب: قرأه.

(٢)

لمَّا بَـلَغْتُ السَّابِعَةَ مِنْ عُمُرِيْ

لَمَّا بَلَغْتُ السَّابعَةَ مِنْ عُمُرِيْ أَمَرَنِيْ أَبِيْ بالصَّلَاةِ ، وَكُنْتُ تَعَلَّمْتُ كَثِيراً مِنَ الأَدْعِيَةِ وَحَفِظْتُ سُوَراً مِنَ الْقُرآنِ الْكَرِيم مِنْ أُمِّيْ ، وَكَانَتْ أُمِّي تتكَلَّمُ مَعِيْ كُلَّ لَيْلَةٍ عِنْدَ الْمَنَام فَتَقُصُّ عَلَيَّ قِصَصَ الأَنْبِيَاءِ ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ هٰذِهِ الْقِصَصَ بِنَشَاطٍ وَرَغْبَةٍ .

وَبَدَأْتُ أَذْهَبُ مَعَ أَبِيْ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ ، وَأَقُوْمُ فِيْ صَفِّ الأَطْفَالِ خَلْفَ صَفِّ الرِّجَالِ ، وَلَمَّا بَلَغْتُ الْعَاشِرَةَ مِنْ عُمُرِيْ قَالَ لِيْ مَرَّةً : قَدْ أَكْمَلْتَ الآنَ مِنْ عُمُرِكَ تِسْعَ سِنِيْنَ ، وَالآنَ أَنْتَ ابْنُ عَشْرِ سِنِيْنَ فَإِذَا تَرَكْتَ صَلاَةً ضَرَبْتُك ، لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : مُرُوْا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِيْنَ ، وَاضْرِبُوْهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ .

وَقَصَّ عَلَيَّ أَبِيْ قِصَصَ الأَطْفَالِ الَّذِيْنَ حَافَظُوا عَلَىٰ الصَّلَاةِ فِي الصِّغَرِ ، وَكَانَ لَهُمْ شَأْنٌ فِي الْكِبَرِ .

قُلْتُ: يَا أَبِيْ! إِنَّكَ لاَ تَحْتَاجُ إِلىٰ أَنْ تَضْرِبَنِيْ وَسَأُحَافِظُ عَلىٰ الصَّلَوَاتِ ، وَكَذٰلِكَ فَعَلْتُ ، فَقَدْ كُنْتُ أُصَلِّيْ أَيْنَمَا كُنْتُ ، كُنْتُ إِذَا ذَهَبْتُ إِلىٰ السُّوْقِ أَوْ كُنْتُ فِيْ شُغْلٍ وَأَدْرَكَتْنِي الصَّلاَةُ فِيْ مَكَانٍ صَلَّيْتُ ، لأَنِّيْ أَرىٰ النَّاسَ لاَ يَخْجَلُونَ مِنَ الأَكْلِ إِذَا جَاعُوْا ، وَاللَّعِبِ إِذَا أَرَادُوْا ، فَلَمَاذَا أَخْجَلُ مِنَ الصَّلاَةِ؟ وَإِنَّ الصَّلاَةَ لَفَرِيْضَةٌ ، وَإِنَّ الصَّلاَةَ لَشَرَفٌ لِلْمُسْلِمِ.

وَخَرَجْتُ مَرَّةً إِلىٰ مُبَارَاةٍ[١] وَكَانَ الزِّحَامُ شَدِيْداً ، وَأَدْرَكَتْنِيْ[٢] صَلاَةُ الْعَصْرِ وَكُنْتُ عَلىٰ وُضُوْءٍ ، فَقُمْتُ أُصَلِّيْ وَجَعَلَ النَّاسُ يَنْظُرُوْنَ إِلَيَّ وَيَتَعَجَّبُونَ ، وَأَكْمَلْتُ صَلاَتِيْ بِسَكِيْنَةٍ وَاعْتِدَالٍ وَرَجَعْتُ إِلَى الْمُبَارَاةِ.

وَلَمَّا انْتَهَتِ الْمُبَارَاةُ جَاءَ إِلَيَّ رَجُلٌ وَسَأَلَنِيْ عَنِ اسْمِيْ وَاسْمِ وَالِدِيْ ، وَسَأَلَنِيْ عَنْ سِنِّيْ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَثْنَىٰ عَلىٰ أَبِيْ خَيْراً ، وَدَعَا لِيْ بِالبَرَكَةِ ، وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ وَلَداً يُصَلِّيْ فِي الْمُبَارَاةِ وَيَتْرُكُ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّلاَةَ فِيْ هٰذَا الْوَقْتِ ، فَحَمِدْتُ اللهَ وَشَكَرْتُ أَبِيْ.

---

(١) المُبَارَاة (ج) المباريات: مكان المنافسة الرياضية بين فريقين أو فردين.

(٢) أدْرَكَتْني صلاة العصر: أي لحقتني.

وَلاَ أَتْـرُكُ الصَّلاَةَ إِذَا كُنْتُ مُسَافِراً وَأَرَىٰ كَثِيْراً مِنَ النَّاسِ يُصَلُّوْنَ فِي الحَضَرِ وَيَتْرُكُوْنَ الصَّلاَةَ فِي السَّفَرِ ، وَيُصَلُّوْنَ فِي الصِّحَّةِ وَلاَ يُصَلُّوْنَ فِي الْمَرَضِ ، مَعَ أَنَّ الصَّلاَةَ لاَ تَسْقُطُ عَنْ أَحَدٍ .

وَأَرَىٰ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لاَ يُصَلُّوْنَ بِاعْتِدَالٍ وَسَكِيْنَةٍ وَيُسْرِعُوْنَ كَثِيْراً ، وَلاَ أَذْكُرُ أَنِّي تَرَكْتُ صَلاَةً فِيْ هٰذِهِ السَّنَوَاتِ الأَرْبَعِ ، وَإِذَا نِمْتُ عَنْهَا[١] أَوْ نَسِيْتُهَا صَلَّيْتُهَا إِذَا تَذَكَّرْتُ .

وَإِنِّي أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ التَّوْفِيْقَ وَالثَّبَاتَ[٢] .



(١) نام عنه : غَفَلَ عنه .

(٢) الثَّبَات : الاستقرار .

(٣)

النَّمْلَـةُ

طَالَ سَعْيِي[١] بِالأَمَلْ ... لَسْتُ أَرْضَى بِالْكَسَلْ

غَايَتِي[٢] نَيْلُ[٣] الطَّلَبْ ... لاَ أُبَالِي[٤] بِالتَّعَبْ

أَبْتَنِي الْبَيْتَ الْحَسَنْ ... بِنِظَامٍ لِلسَّكَنْ

وَلِقُوتِي[٥] أَذْهَبُ ... لَسْتُ يَوْماً أَلْعَبُ

كُلَّ صَيْفٍ أَجْمَعُ ... لِي طَعَاماً يُشْبِعُ

فَإِذَا جَاءَ الْمَطَرْ ... كَانَ لِي بَيْتِي الْمَقَرْ[٦]

---

(١) سَعَى: جهد ، جدَّ.

(٢) الغاية (ج) الغايات: الهدف.

(٣) النيل: الحصول.

(٤) لا يبالي بالتعب: لا يحتفل به ، لا يكترث له.

(٥) القوت (ج) الأَقْوَات: ما يأكله الإنسان ويعيش به.

(٦) المقرّ (ج) المَقَارّ: موضع الاستقرار.

ذَاكَ شَـأْنِـيْ فِـيْ الصِّغَـرْ وَنِظَـامِـيْ فِـي الْكِبَـرْ

إِنَّنِـيْ نِعْـمَ المَثَـلْ[1] بِـاجْتِهَـادِيْ فِـي الْعَمَـلْ

(مَبَادِئُ القِرَاءَةِ الرَّشِيْدَةِ)

❊ ❊ ❊

(١) نِعْم المَثَل: المثل: العِبْرة التي يُعتبر بها.

(٤)

فِـي السُّـوْقِ



عمَرُ: هَلْ زُرْتَ سُوْقَ هٰذَا الْبَلَدِ يَا صَدِيْقِيْ؟

خَالِدٌ: لَا يَا أَخِيْ ، فَإِنِّيْ غَرِيْبٌ جَدِيْدٌ فِيْ هٰذَا الْبَلَدِ لَا أَعْرِفُ الطَّرِيْقَ.

عُمَرُ: تَـعَالَ مَعِـيْ فَإِنِّـيْ ذَاهِبٌ إِلَىٰ السُّـوْقِ لِأَشْتَـرِيَ بَعْـضَ

الْحَوَائِجِ، وَنَـرْجِع قَبْلَ الْمَغْرِبِ إِنْ شَاءَ اللهُ فَإِنَّ السُّوْقَ غَيْـرُ بَعِيْدَةٍ.

خَالِدٌ: مَا شَاءَ اللهُ هٰذِهِ سُوْقٌ كَبِيْرَةٌ وَالدَّكَاكِيْنُ نَظِيْفَةٌ جَمِيْلَةٌ، وَمَا هٰذَا الدُّكَّانُ الْجَمِيْلُ إِلَىٰ اليَمِيْنِ يَا عُمَرُ؟

عُمَرُ: هٰذَا دُكَّانُ فَاكِهَانِيٍّ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ الْفَوَاكِهِ وَتَرَىٰ النَّاسَ يُسَاوِمُوْنَ[1] الْفَاكِهَانِيَّ فِيْهَا.

خالِدٌ: أَنَا أُرِيْدُ أَنْ أَشْتَرِي شَيْئاً مِنَ الْفَوَاكِهِ، الْمَوزَ وَالْجَوَّافَةَ وَالْبُرْتُقَالَ، فَإِنِّيْ أُرِيْدُ أَنْ أَدْعُوَ بَعْضَ الإِخْوَانِ إِلَىٰ الْفُطُورِ بُـكْرَةً[2].

عُمَرُ: الْجَوَّافَةُ غَالِيَةٌ جِدّاً فِيْ هٰذِهِ الأَيَّامِ، وَالْبُرْتُقَالُ حَامِضٌ وَلَا بَأْسَ[3] بِالْمَوْزِ.

خَالِدٌ: تَفَضَّلْ يَا أَخِيْ نُسَاوِمُ الْفَاكِهَانِيَّ.

عُمَرُ: أَحْسَنُ أَنْ نَشْتَرِيَ الْفَوَاكِهَ مِنْ سُوْقِ الْخُضَرِ بُكْرَةً، فَإِنَّ الْفَوَاكِهَ وَالثِّمَارَ فِيْهَا كَثِيْـرَةٌ وَرَخِيْصَةٌ.

خَالِدٌ: هٰذَا هُوَ الرَّأْيُ، وَمَا هٰذِهِ الدَّكَاكِيْن يَا عُمَرُ؟

---

(١) يسَاوِمون (ساوم يساوم مساومة): يفاوضون في البيع والشراء.

(٢) بُكرةً: أول النهار إلى طلوع الشمس.

(٣) لابأس به: لا مانع أو عيب فيه.

عُمَرُ: هٰذِهِ دكَاكِيْنُ الْقُمَاشِ ، أَلَا تَرَىٰ كَيْفَ بَسَطُوْا أَنْوَاعاً مِنَ الْقُمَاشِ وَكَيْفَ يَلْمَسُهَا النَّاسُ وَيُسَاوِمُوْنَ فِيْهَا التُّجَّارَ ، تَعَالَ! فَإِنِّيْ أُرِيْدُ أَنْ أَشْتَرِي حِذَاءً.

خَالِدٌ: تَفَضَّل فَإِنِّي صَاحِبُكَ.

عُمَرُ: مِنْ فَضْلِكَ أَخْرِجْ لِيْ حِذَاءً مُطَابِقاً[1].

صَاحِبُ الدُّكَّانِ: هٰذَا حِذَاءٌ جَمِيْلٌ وَمَتِيْنٌ.

عُمَرُ: نَعَمْ! وَلٰكِنَّهُ وَاسِعٌ قَلِيْلاً.

صَاحِبُ الدُّكَّانِ: وَهٰذَا الآخَرُ مُطَابِقٌ تَمَاماً.

عُمَرُ: بِكَمْ هُوَ؟

صَاحِبُ الدُّكَّانِ: بِسِتِّ رُبِّيَاتٍ[2].

عُمَرُ: أَلَا تَنْزِلُ فِي الثَّمَنِ؟

صَاحِبُ الدُّكَّانِ: لَنْ تَجِدَ يَا سَيِّدِيْ أَرْخَصَ مِنْ هٰذَا فِي السُّوْقِ.

---

(١) مُطابقاً لشيء: موافقاً له ، ليس مختلفاً عنه.

(٢) ربية: جمع ربيات: اسم العملة ، تستعمل في الهند ، وباكستان ، وأندونيسيا وماليزيا.

عُمَرُ: أُصَدِّقُكَ لأَنَّكَ مُسْلِمٌ وَالْمُسْلِمُ لا يَكْذِبُ وَلاَ يَغُشُّ(١).

خَالِدٌ: وَمَا هٰذَا الْمَكَانُ الَّذِي يَأْكُلُ فِيْهِ النَّاسُ ؟

عُمَرُ: هٰذَا مَطْعَمٌ يَأْكُلُ فِيْهِ النَّاسُ ، وَالْمَطَاعِمُ فِيْ الْبَلَدِ كَثِيْرَةٌ.

خَالِدٌ: مَالِيْ لَمْ أَرَ مَطْعَماً فِي الْقَرْيَةِ؟

عُمَرُ: لأَنَّ الْبَلَدَ فِيْهِ غُرَبَاءُ وَمُسَافِرُونَ لَيْسَ لَهُمْ بُيُوْتٌ يُقِيْمُونَ فِيْهَا وَيَأْكُلُونَ فِيْهَا ، فَيَأْكُلُوْنَ فِي الْمَطَاعِمِ ، أَمَّا الْقَرْيَةُ فَالْغَرِيْبُ فِيْهَا قَلِيْلٌ فَلاَ حَاجَةَ فِي الْقَرْيَةِ إِلَىٰ الْمَطْعَمِ.

خَالِدٌ: وَأَيْنَ نَجِدُ الْوَرَقَ وَالْحِبْرَ وَالْقَلَمَ وَالْمِرْسَمَ وَالنَّشَافَةَ(٢) وَأَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ.

عُمَرُ: هٰذَا دُكَّانُ وَرَّاقٍ تَجِدُ فِيْهِ جَمِيْعَ حَوَائِجِ الْمَدْرَسَةِ.

خَالِدٌ: أَشْكُرُكَ يَا صَدِيْقِي الْكَرِيْمَ فَقَدْ أَفَدْتَنِيْ كَثِيْراً ، وَأَرَىٰ أَنْ نَرْجِعَ الآنَ إِلَىٰ الْبَيْتِ وَنُصَلِّي الْمَغْرِبَ هُنَا.

عُمَرُ: نَعَمْ! وَمَا بَقِيَ لِيَ شُغْلٌ.

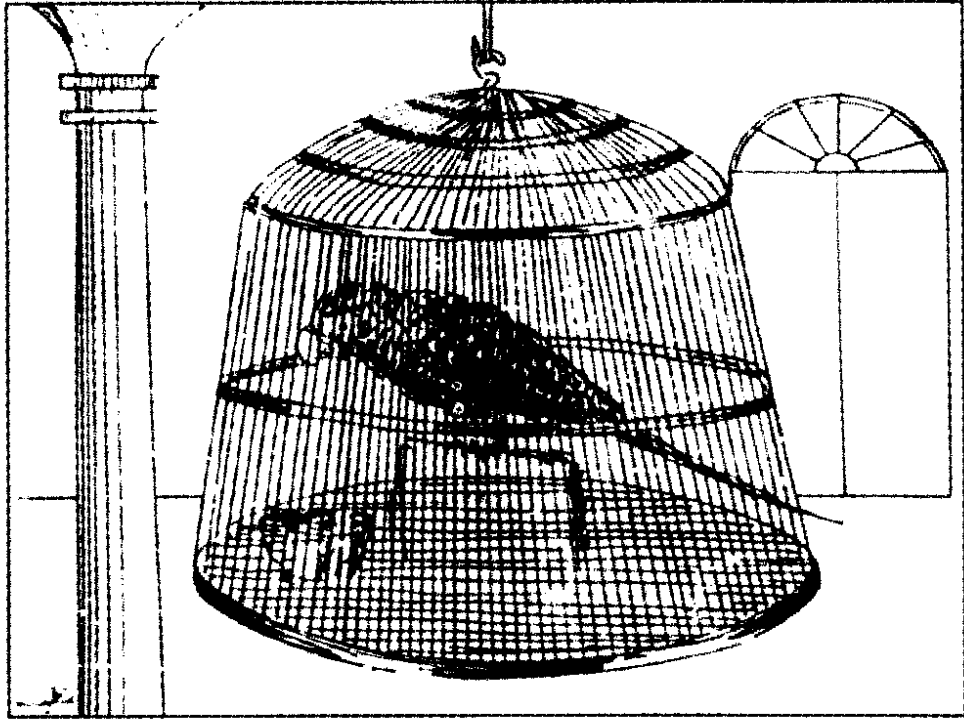
---

(١) يَغُشُّ (غَشَّ يَغشُّ غشّاً): يَخْدَع.

(٢) النَّشَّافَة (ج) النَّشافات: خرقة ونحوها تستعمل لتنشيف الماء وغيره.

(٥)

الطَّائِرُ



الْحَبْسُ لَيْسَ مَذْهَبِيْ[١] وَلَيْسَ فِيْهِ طَرَبِيْ[٢]

---

(١) مَذْهَب (ج) مذاهب: طريقة.

(٢) طَرب: خفة وهزَّة تثير النفس لفرح أو حزن أو ارتياح وأغلب ما يستعمل اليوم في الارتياح.

فَلَسْـــتُ أَرْضَـــىٰ قَفَصـــاً وَإِنْ يَكُـــنْ مِـــنْ ذَهَـــب
غَـــابَـــاتُ رَبِّـــيْ غَـــايَتِـــيْ وَالْعَيْـــشُ فِيْهَـــا مَطْلَبِـــيْ[1]
قَـــدْ طَـــابَ فِيْهَـــا مَطْعَمِـــيْ وَرَاقَ[2] فِيْهَـــا مَشْـــرَبِـــيْ
أَذْهَـــبُ فِيْهَـــا أَسْتَقِـــيْ مِـــنْ مَـــاءِ نَبْـــعٍ أَعْـــذَب
أَصْـــدَحُ[3] فِيْهَـــا مُطْلَقَـــاً[4] فَـــالْحَبْـــسُ لَيْـــسَ مَـــذْهَبِـــيْ

«مَدَارِجُ الْقِرَاءَة»

* * *

(١) مَطْلَب (ج) مَطَالِب: هدف.
(٢) رَاقَ يَـرُوق روقاً: الشيء أعجبه.
(٣) أصْدَح (صَدَحَ يَصْدَحُ صَدْحاً): أُغَرِّد.
(٤) مُطْلقاً: حُرّاً.

(٦)

نـزْهَـةٌ وَطَـبْــخٌ



كَانَ يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ الْمَاضِيْ يَوْمَ عُطْلَةٍ فِي الْمَدْرَسَةِ. جَاء إِلَيَّ دَاودُ صَبَاحاً وَقَالَ: الْيَوْمُ يَوْمُ الْعُطْلَةِ ، أَلَا نَخْرُجُ إِلَىٰ بُسْتَانٍ ، أو مَكَانٍ فِيْ ضَوَاحِي[1] الْمَدِيْنَةِ نَرْتَعُ[2] وَنَلْعَبُ ، وَنَطْبخُ مِنَ الطَّعَامِ

---

(١) الضواحي جمع الضاحية: النَّواحِي جمع الناحية.

(٢) رَتَعَ يَرْتَعُ رَتْعاً: في المكان: أقاموا وتنعَّموا وأكلوا فيه وشربوا ما شاؤوا في خِصْب وسعَة.

مَا نَشْتَهِيْ وَنَأْكُلُ ، وَنَرْجِعُ فِي الْمَسَاءِ ، قُلْتُ: هَوَ كَذٰلِكَ! وَأَنَا كُنْتُ أُفَكِّرُ أَيْضاً كَيْفَ أَقْضِيْ هٰذَا الْيَوْمَ ، وَلٰكِنْ كَلِّمْ أَخَاكَ سُلَيْمَان وَالأَخَ هَاشِماً وَالسَّيِّدَ عُمَرَ لَعَلَّهُمْ يَخْرُجُوْنَ مَعَنَا.

وَافَقَ دَاوُدُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَكَلَّمَهُمْ ، وَفَرِحُوْا جِدّاً وَجَاؤُوا إِلَىٰ بَيْتِيْ مِنْ سَاعَتِهِمْ وَصَدِيْقُنَا خَالِدٌ فَفَرِحْنَا بِهِ وَقُلْنَا: مَرْحَباً.

اجْتَمَعْنَا وَقُلْنَا: هَلْ نَقْصِدُ بُسْتَاناً مِنْ بَسَاتِيْنِ الْمَدِيْنَةِ أَوْ نَتَوَجَّهُ إِلَىٰ ضَاحِيَةٍ مِنْ ضَوَاحِي الْمَدِيْنَةِ.

قَالَ دَاوُدُ وَعُمَرُ: بَلْ نَقْصِدُ الْبُسْتَانَ الْكَبِيْرَ فِيْ وَسَطِ الْمَدِيْنَةِ ، فَإِنَّ الْبُسْتَانَ قَرِيْبٌ فَلاَ يَضِيْعُ وَقْتُنَا فِي الذَّهَابِ إِلَىٰ ضَاحِيَةٍ مِنْ ضَوَاحِي الْبَلَدِ.

وَقَالَ سُلَيْمَانُ وَهَاشِمٌ وَأَنَا مَعَهُمَا: بَلْ نَتَوَجَّهُ إِلَىٰ بَعْضِ الضَّوَاحِيْ لأَنَّا نُرِيْدُ أَنْ نَطْبخَ الطَّعَامَ وَنَقْضِيَ النَّهَارَ فِي النُّزْهَةِ وَالطَّبْخِ.

فَاسْتَقَرَّ رَأْيُنَا عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الضَّاحِيَةِ ، فَاكْتَرَيْنَا[1] مَرْكَبَةً وَوَصَلْنَا مِنْ سَاعَتِنَا إِلَى الضَّاحِيَةِ.

وَكُنَّا أَخَذْنَا مَعَنَا الرُّزَّ وَاللَّحْمَ وَالتَّوَابِل وَالسَّمْنَ وَالْخُضَرَ وَأَخَذْنَا قِدْرَيْنِ وَأَوَانِيَ ، وَكُنَّا عَلِمْنَا أَنَّ فِي الْمَحَلِّ خَبَّازاً فَقُلْنَا

---

(١) اكْتَرَىٰ يَكْتَرِي اكتراءً: فلانٌ الدارَ ونحوها: اسْتأجرها.

نَشْتَرِي الرَّغِيفَ فَإِنَّ الرَّغِيْفَ فِيْهِ تَعَبٌ.

اخْتَرْنَا مَكَاناً ظَلِيْلاً[1] وَكَانَ السَّيِّدُ عُمَرُ وَالسَّيِّدُ هَاشِمٌ يُحْسِنَانِ الطَّبْخَ فَتَوَلَّيَا أَمْرَ الطَّبْخِ وَسَاعَدَهُمَا دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ.

وَتَوَلَّيْتُ أَمْرَ الْحَطَبِ فَذَهَبْتُ إِلَى الْغَابَةِ الْقَرِيْبَةِ وَجِئْتُ بِالْحَطَبِ مِنْ سَاعَتِيْ، وَدَقَّ خَالِدٌ التَّوَابِلَ وَذَهَبْتُ أَنَا إِلَى الْخَبَّازِ فَاشْتَرَيْتُ الأَرْغِفَةَ.

وَأَدْرَكَ الطَّعَامُ فِي السَّاعَةِ الْحَادِيَةَ عَشَرَةَ، وَقَدْ غَلَبَنَا الْجُوْعُ وَاشْتَهَيْنَا الطَّعَامَ فَأَكَلْنَا بِرَغْبَةٍ، وَكَانَ الطَّعَامُ شَهِياً لَذِيْذاً.

وَجَلَسْنَا نَتَحَدَّثُ حَتَّىٰ كَانَ وَقْتُ الظُّهْرِ فَأَذَّنْتُ وَصَلَّيْنَا جَمَاعَةً.

وَخَرَجْنَا بَعْدَ الصَّلاَةِ نَزُورُ بَعْضَ الآثَارِ، وَفِي الْعَصْرِ رَجَعْنَا إِلَى الْبَلَدِ مَسْرُوْرِيْنَ.

* * *

---

(١) الظَّلِيْل: ذو الظلِّ.

(٧)
مَـنْ يَـمْنَـعُـكَ مِـنِّـيْ؟

خَرَجَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فِيْ غَزْوَةٍ! هَلْ تَعْرِفُوْنَ مَا هِيَ الْغَزْوَةُ؟

لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمُسْلِمِيْنَ كَانُوْا يَخْرُجُوْنَ لِلْجِهَادِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وَكَانُوْا يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ وَالْكُفَّارَ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ ، وَلَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ فَضِيْلَةَ الْجِهَادِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ؟ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ أَحْيَاناً مَعَ الْمُسْلِمِيْنَ وَأَحْيَاناً يَمْكُثُ فِي الْمَدِيْنَةِ لِشُغْلٍ أَوْ مَصْلَحَةٍ وَيَبْعَثُ جُنْداً مِنَ الْمُسلِمِيْنَ.

فَالغَزْوَةُ مَا خَرَجَ فِيْهَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فِيْ جُنْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ لِلْجِهَادِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ.

نَعَمْ فَخَرَجَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فِيْ غَزْوَةٍ وَرَجَعَ عَنْهَا فِي الظَّهِيْرَةِ[1] وَكَانَتْ أَيَّامُ الصَّيْفِ فَأَرَادَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أَنْ يَسْتَرِيْحَ.

---

(١) الظهيرة: وقت الظُّهر.

وَلَيْسَ فِيْ الْبَـرِّيَّـةِ[1] مَكَـانٌ يَسْتَرِيْـحُ فِيْـهِ الإِنْسَـانُ إِلاَّ الـشَّجَرُ.

وَلَيْسَ فِيْ الْـبَرِّيَّـةِ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ شَجَرٌ كَثِيرٌ وَلَيْس فِيْهَا إِلاَّ السَّمُرُ.

فَنَزَلَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ[2] وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَنَامُوْا ، وَنَامَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ تَحْتَ السَّمُرَةِ.

وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَسَيْفُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بِالسَّمُرةِ وَهُوَ فِيْ غِمْدِهِ.

فَـأَخَـذَ الْمُشْـرِكُ السَّيْـفَ وَسَلَّـهُ مِـنْ غِمْـدِهِ وَاسْتَيْقَـظَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ.

فَقَـالَ الْمُشْـرِكُ... وَالسَّيْـفُ مَسْلُـوْلٌ فِـيْ يَـدِهِ... لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ: تَخَافُنِيْ؟

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: لاَ!

قَالَ الْمُشْرِكُ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّيْ؟

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: اللهُ!

---

(١) البريّة: الأرض.

(٢) السَّمُرَة: ضرب من شجرِ الطَّلح.

فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِ الْمُشْرِكِ فَأَخَذَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ السَّيْفَ فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ لِلْمُشْرِكِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّيْ؟

فَقَالَ الْمُشْرِكُ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ!

فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟

قَالَ الْمُشْرِكُ: لَا! وَلٰكِنِّي أُعَاهِدُكَ عَلَىٰ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ!

فَخَلَّىٰ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ سَبِيْلَهُ[1].

فَأَتَىٰ الْمُشْرِكُ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ[2].

* * *

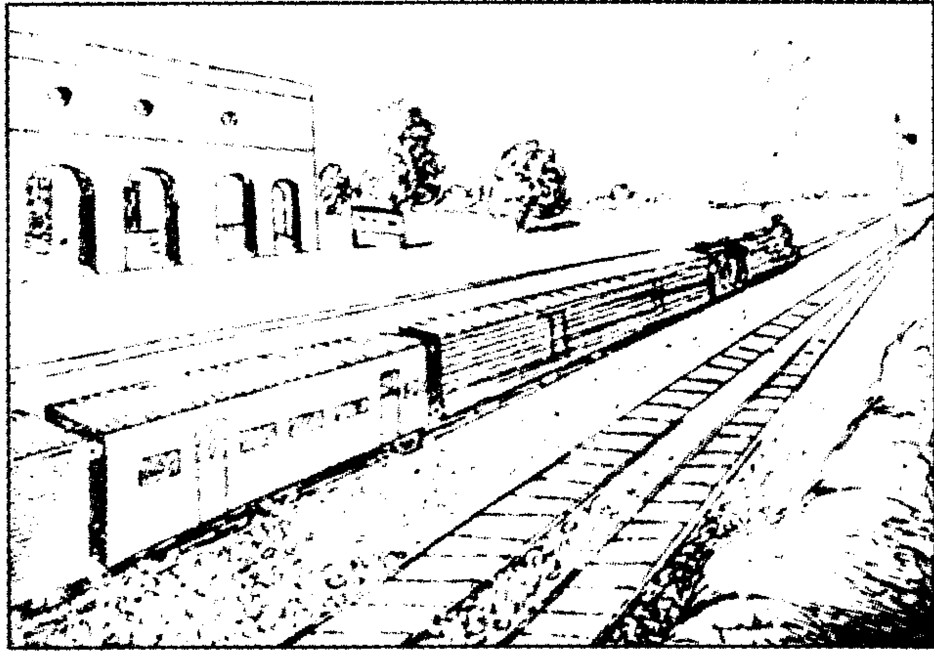
---

(١) خَلَّىٰ سَبِيْلَه: تَـرَكَه.

(٢) ملْتَقَطٌ مِنَ الصَّحِيحَيْنِ وَصَحِيحِ أَبِي بَكْرٍ الإسماعيليِّ.

(٨)

سفَرُ الْقِطَارِ



لاَ أَنْسَىٰ سَفَرِي الأَوَّلَ ، عَلِمْتُ أَنِّي مُسَافِرٌ بُكْرَةً مَعَ أُمِّيْ وَإِخْوَتِيْ ، فَاسْتَيْقَظْتُ قَبْلَ السَّحَرِ وَبَقِيْتُ أَنْتَظِرُ سَاعَةَ السَّفَرِ ، وَاسْتَيْقَظَ أَهْلُ الْبَيْتِ مُبَكِّرِيْنَ ، وَصَلَّيْنَا الصُّبْحَ ، وَجَاءَ عَمِّيْ وَبَدَأَتْ فِي الْبَيْتِ حَرَكَةٌ وَأَصْوَاتٌ ، هٰذَا يَجْرِيْ وَذٰلِكَ يَلُفُّ الْفِرَاشَ[1] وَهٰذَا يُنَادِيْ وَذٰلِكَ يُجِيْبُ ، وَالْعَمُّ يَغْضَبُ

---

(١) لفَّ يَلُفُّ لَفاً: الفراش ونحوه: طَوَاه.

وَيَسْتَعْجِلُ ، وَالْوَالِدُ قَائِمٌ يَأْمُرُ وَيَنْهَىٰ ، وَيَغْضَبُ وَيُرْشِدُ ، وَالْخَادِمُ يُهَيِّىءُ[1] الزَّادَ ، حَتَّى كَانَ وَقْتُ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ وَقَرُبَ مِيْعَادُ الْقِطَارِ.

جَاءَتْ مَرْكَبَتَانِ فَرَكِبْنَاهُمَا ، وَسَلَّمْتُ عَلَىٰ أَبِيْ فَوَدَّعَنِي وَدَعَا لِيْ ، وَوَصَلْنَا إِلَىٰ الْمَحَطَّةِ فَأَخَذَ الْحَمَّالُونَ الْحَوَائِجَ وَالْمَتَاعَ ، وَكَانَتْ أَيَّامُ شِتَاءٍ فَكَانَتِ الْفُرُشُ كَبِيْرَةً ، وَذَهَبَ عَمِّيْ فَاشْتَرَىٰ تَذَاكِرَ الْقِطَارِ.

وَسَأَلْتُ عَمِّيْ عَنِ النَّوْلِ[2] فَقَالَ: إِنَّ النَّوْلَ ثَلاَثُ رُبِّيَّاتٍ ، وَرُبِّيَّةٌ وَنِصْفٌ لكَ.

وَقُلْتُ لِعَمِّيْ: أَعْطِنِيْ تَذْكِرَتِيْ. فَقَالَ عَمِّيْ: إِنَّكَ تُضَيِّعُ تَذْكِرَتَكَ ، فَقُلْتُ: لاَ! سَأُحَافِظُ عَلَىٰ تَذْكِرَتِي إِنْ شَاءَ اللهُ ، فَأَعْطَانِيْ تَذْكِرَتِي وَوَضَعْتُهَا عِنْدِيْ. دَخَلْنَا الْمَحَطَّةَ فَرَأَيْنَا رِجَالاً كَثِيْراً وَنِسَاءً وَأَطْفَالاً وَرَأَيْنَا زِحَاماً شَدِيْداً وَسَمِعْنَا أَصْوَاتَ النَّاسِ وَ الأَطْفَالِ وَصَيْحَةَ الْحَمَّالِيْنَ وَصَفِيْرَ الْقَاطِرَةِ.

وَكَانَ قِطَارُنَا مُتَأَخِّراً فَذَهَبْنَا إِلَى الْمَنْظَرَةِ وجَلَسْنَا قَلِيْلاً ، ثُمَّ

---

(١) هَيَّأَ يُهَيِّىءُ: أَعَدَّ يُعِدُّ.

(٢) النول: أجر السفينة ، ويمكن إطلاقه على قيمة تذكرة السفر.
والنول: خشبة الحائك أو آلته ينسج عليها ج أنوال.

جِئْتُ إِلَى الرَّصِيْفِ[1] لأَرَىٰ هَلْ جَاءَ الْقِطَارُ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَىٰ الْمَنْظَرَةِ .

وَبَعْدَ قَلِيْلٍ جَاءَ الْقِطَارُ فَخَرَجْنَا مِنَ الْمَنْظَرَةِ ، وَقَامَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَلَىٰ الرَّصِيْفِ وَوَقَفَ الْقِطَارُ ، وَنَزَلَ أُنَاسٌ وَرَكِبَ أُنَاسٌ وَرَكِبْنَا .

وَكُنْتُ أُطِلُّ مِنَ الْقِطَارِ وَأَرَىٰ الْمَنَاظِرَ ، وَكَانَ الزِّحَامُ شَدِيْداً فِي الْقِطَارِ ، وَجَاءَ الْبَاعَةُ وَجَعَلَ النَّاسُ يَشْتَرُوْنَ وَيَأْكُلُونَ ، وَاشْتَرَىٰ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْبَاعَةِ هَدَايَا لأَصْدِقَائِهِمْ وَأَقَارِبِهِمْ .

وَبَعْدَ قَلِيْل صَفرَ أَمِيْنُ الْقِطَارِ وَهَزَّ الْعَلَمَ الأَخْضَرَ فَأَسْرَعَ النَّاسُ وَدَخَلُوْا فِي الْقِطَارِ ، وَتَحَرَّكَتِ الْقَاطِرَةُ وَسَارَ الْقِطَارُ .

وَدَخَلَ نَقَّابٌ[2] فِيْ عَرَبَتِنَا فَنَقَبَ تَذَاكِرَنَا وَرَدَّهَا إِلَيْنَا .

وَفِي الطَّرِيْقِ تَغَدَّيْنَا بِالزَّادِ وَأَكَلْنَا وَشَرِبْنَا وَحمِدْنَا اللهَ .

وَلَمْ يَزَلْ يَقِفُ الْقِطَارُ عَلَى الْمَحَطَّاتِ وَيَسِيْرُ حَتَّىٰ وَصَلَ وَقْتُ الظُّهْرِ فَتَوَضَّأنا بِسُرْعَةٍ عَلَىٰ مَحَطَّةٍ وَصَلَّيْنَا صَلاَةَ السَّفَرِ ، صَلَّيْنَا الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ وَسَلَّمْنَا ، وَصَفرَ أَمِينُ الْقِطَارِ فَرَكِبْنَا سَرِيْعاً .

---

(١) الرَّصِيْف (ج) الأَرْصِفَةُ: مكان مرتفع تقف أمامه السفن والقطارات ونحوها .

(٢) النَّقَّاب: قاطع التذاكر ، كُمْسَاري .

وَقَالَ عَمِّيْ: لَوْ كَانَ الْقِطَارُ لِلْمُسْلِمِيْنَ لَكَانَ فِيْهِ مَكَانٌ لِلْوُضُوءِ وَالصَّلاَةِ ، نُؤَذِّنُ فِيْهِ وَنُصَلِّيْ جَمَاعَةً.

وَفِي الْعَصْرِ وَصَلَ الْقِطَارُ إِلَىٰ مَحَطَّتِنَا ، وَكُنْتُ أُطِلُّ مِنَ النَّافِذَةِ فَرَأَيْتُ هَاشِماً وَسَعِيْداً عَلَى الرَّصِيْفِ وَعَرَفْتُهُمَا وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَا عَلَيَّ.

وَوَصَلْتُ إِلَىٰ قَرْيَتِي وَقَابَلْتُ أَصْدِقَائِيْ وَإِخوانِيْ وَجَعَلْتُ أُحَدِّثُهُمْ حَدِيْثَ الْبَلَدِ وَأُخْبِرُهُمْ بِعَجَائِبِهِ وَأَحْكِيْ لَهُمْ مَا رَأَيْتُ فِي السَّفَرِ.



(٩)

مـاذَا تُـحِـبُّ أَنْ تَـكُـوْنَ؟

سَأَلَ الْمُعَلِّمُ التَّلاَمِيْذَ مَرَةً فِي الصَّفِّ وَاحِداً وَاحِداً: مَاذا تُحِبُّ أَنْ تَكُوْنَ؟

وَقَالَ: كُلُّ وَاحِدٍ حُرٌّ فِيْ جَوَابِهِ فَلاَ يَخَفْ وَلاَ يَسْتَحِيْ.

وَقَالَ أَحْمَدُ وكَانَ أَصْغَرَ التَّلاَمِيْذِ: أَنَا أُرِيْدُ أَنْ أَكُوْنَ سَائِقاً فِي الْقِطَارِ، فَأَرْكَبَ دَائِماً وَأُسَافِرَ مَجَّاناً وَأَتَنَزَّهَ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ: إِنَّ سَائِقَ الْقِطَارِ فِيْ تَعَبٍ عَظِيْمٍ وَحَرٍّ وَجَحِيمٍ[1]، وَلٰكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ رُبَّاناً[2] فِيْ بَاخِرَةٍ، فَأُسَافِرُ فِي البحر وَأَزُوْرُ الْبِلاَدَ الْبَعِيْدَةَ مَجَّاناً وَأُشَاهِدَ عَجَائِبَ الدُّنْيَا.

وَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ: الرُّبَّانُ وَبَاخِرَتهُ فِي خَطَرٍ مِنَ الْغَرَقِ، وَلَكِنِّي

(١) الجَحِيْمُ: النار الشديدة التأجج.

(٢) الربّان (ج) الرَّبَّـابين والرَّبَابنة: رئيس الملاحين في السفينة.

أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ طَبِيْباً فَأُدَاوِيَ[1] النَّاسَ وَأُدَاوِيَ الْفُقَرَاءَ مَجَّاناً ، وَأَخْدِمَ الْخَلْقَ وَأُحَافِظَ عَلَىٰ صِحَّتِيْ وَأَعِيْشَ بِأَمْنٍ وَسَلاَمٍ.

وَأَجَابَهُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ وَقَالَ: هٰذَا لَيْسَ بِصَحِيْحٍ ، لَيْسَتِ الْبَاخِرَةُ فِيْ خَطَرٍ فِيْ هٰذَا الزَّمَانِ ، وَالْبَوَاخِرُ تُسَافِرُ دَائِماً فِيْ هٰذِهِ الأَيَّامِ بِأَمْنٍ وَسَلاَمٍ ، وَبِالْعَكْسِ أَرَىٰ الأَطِبَّاءَ يَمْرَضُونَ وَيَمُوتُوْنَ.

وَقَاطَعَهُ إِبْرَاهِيْمُ وَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ بَاخِرَةً غَرِقَتْ قَبْلَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ.

وَأَرَادَ إِبْرَاهِيْمُ أَنْ يُجِيبَهُ وَلٰكِنْ قَالَ الْمُعَلِّمُ: وَهٰذَا لَيْسَ وَقْتَ مُنَاظَرَةٍ وَقَدْ بَقِيَ كَثِيرٌ مِنَ الطَّلَبَةِ ، ومَاذا تَقُولُ يَا قَاسِمُ؟

قَالَ قَاسِمٌ: أَنَا لاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ سَائِقاً أَوْ رُبَّاناً أَوْ طَبِيْباً ، بَلْ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ فَلاَّحاً ، أَزْرَعُ وَأَحْرُثُ ، وَلاَ أَحَدٌ يَخْدِمُ النَّاسَ وَيَنْفَعُهُمْ كَالْفَلاَّحِ ، وَهُوَ الَّذِي يَزْرَعُ الْحُبُوبَ وَالْخُضَرَ فَيَأْكُلُ النَّاسُ وَالدَّوَابُّ.

وَقَالَ سُلَيْمَانُ: أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ تَاجِراً ، لِيْ دُكَّانٌ كَبِيرٌ فِيْ سُوْقٍ كَبِيْرَةٍ يَأْتِي النَّاسُ إِلَيَّ وَيَشْتَرُونَ.

وَقَالَ حَامِدٌ: أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ صَنَّاعاً مَاهِراً وَمُخْتَرِعاً أَصْنَعُ وَأَخْتَرِعُ الأَشْيَاءَ الْعَجِيْبَةَ.

---

(١) دَاوَىٰ يُدَاوِيْ مُدَاوَاةً: الطبيبُ المَرِيضَ: عَالَجَهُ وَوَصَفَ له الدواءَ.

وَقَالَ خَالِدٌ: أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ جُنْدِيّاً قَوِياً أُقَاتِلُ الْكُفَّارَ وَالْمُشْرِكِيْنَ وَأُجَاهِدُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ.

وَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيْمِ: أَنَا أَحِبُّ أَنْ أَكُوْنَ غَنِياً كَبِيراً أَلْبَسُ مَا أُحِبُّ وَآكُلُ مَا أَشْتَهِيْ وَأُسَافِرُ إِلَىٰ أَيْنَ أُرِيْدُ، وَدَائِماً عِنْدِيْ مَالٌ كَثِيرٌ وَأَسْكُنُ فِيْ قَصْرٍ كَبِيْرٍ.

وَضَحِكَ الأَوْلَادُ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ الْكَرِيْمِ وَخَجِلَ عَبْدُ الْكَرِيْمِ.

وَقَالَ مُحَمَّدٌ: أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُوْنَ عَالِماً أَخَافُ اللهَ وَأَعْبُدُهُ، وَأَعِظُ النَّاسَ وَآمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوْفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُحَذِّرُهُم(١) عَذَابَ اللهِ.

قَالَ الْمُعَلِّمُ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَوْلَادِيْ وَأَنَا أَدْعُوْ لَكُمْ بِالتَّوْفِيْقِ وَالنَّجَاحِ، وَلَكِنْ كُوْنُوا مُسْلِمِيْنَ وَابْتَغُوا اللهَ بِعَمَلِكُمْ وَانْفَعُوا الدِّيْنَ بِشُغْلِكُمْ وَاخْدِمُوا الأُمَّةَ بِعِلْمِكُمْ.

قَالَ التَّلَامِيْذُ: وَمَاذَا تَقُوْلُ أَيُّهَا الأُسْتَاذُ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيْمِ وَقَصْرِهِ؟

قَالَ الْمُعَلِّمُ: الْمَالُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ يَجِبُ عَلَيْهَا الشُّكْرُ، وَسَعِيْدٌ جِدّاً مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً، وَيَبْتَغِي بِهِ

---

(١) حَذَّرَ يُحذِّر تَحْذِيراً: نَبَّهَ.

مَرْضَاةِ اللهِ وَيَخْدِمُ بِهِ الإِسْلاَمَ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ الشَّرِيْفِ : «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ ، رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِيْ بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» .

وَقَدْ كَانَ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ غَنِيّاً وَسَيِّدُنَا عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ غَنِيّاً .

وَرَفَعَ عَبْدُ الْكَرِيْمِ رَأْسَهُ وَقَالَ : سَأَجْهَتِدُ أَنْ أَخْدِمَ الإِسْلاَمَ بِمَالِيْ وَأَبْتَغِيْ[1] بِهِ مَرْضَاةَ اللهِ .



(١) ابْتَغَىٰ يَبْتَغِي ابْتِغَاءً : أرادَ وَطَلَبَ .

(١٠)

مسابَقَـــةٌ

كَانَتْ أَمْسِ مُسَابَقَةٌ فِي الْجَرْيِ فِيْ مَدْرَسَتِيْ ، أَوَّلاً اخْتَارَ مُعَلِّمُ الرِّيَاضَةِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِيْنَ طَالِباً مِنْ جَمِيْعِ الصُّفُوْفِ هُمْ أَقْرَانٌ(١) وَأَكْفَاءُ(٢) ، وَأَوْقَفَهُمْ فِيْ صُفُوفٍ صَفّاً خَلْفَ صَفٍّ ، وَفِيْ كُلِّ صَفٍّ ثَلاثَةٌ.

وَوَقَفَ الأُسْتَاذُ بِجَانِبٍ مِنْ هذِهِ الصُّفُوفِ ، وَقَدَّمَ صَفّاً فِيْهِ مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيْمُ وَسَعِيدٌ وَهُمْ أَقْرَانٌ وَأَكْفَاءٌ وَقَالَ: قُوْمُوْا فِيْ صَفٍّ وَاحِدٍ وَعَلَىٰ خَطٍّ وَاحِدٍ ، وَلَا يَتَقَدَّم مِنْكُمْ أَحَدٌ ، وَكَانَ إِبْرَاهِيْمُ مُتَقَدِّماً قَلِيْلاً فَأَخَّرَهُ وَجَعَلَهُ فِي الصَّفِّ وَقَالَ: أَنَا أَعُدُّ لَكُمْ فَإِذَا

---

(١) الأَقْرَان جمع القِرْن: للإنسان: مثله في الشجاعة والشدّة والعلم والقتال وغير ذلك.

(٢) الأَكْفَاءُ جمع الكُفْءِ: المماثل والقوي القادر على تصريف العمل.

قُلْتُ: وَاحِد فَسَوُّوا الصَّفَّ ، وَإِذا قُلْتُ: اثْـنَـان ، فَاسْتَعِدُّوْا واجْمَعُوْا ثِيَابَكُمْ ، وَإِذا قُلْتُ: ثَلاَثَـة ، فَطِيْرُوْا. وَذَهَبَ أَحَدُ الْمُعَلِّمِيْـنَ إِلَىٰ آخِرِ الْمَيْدَانِ وَوَضَعَ هُنَالِكَ قَصَبَةً[1] وَقَالَ: هٰذِهِ هِيَ الْغَايَةُ.

وَقَالَ الأُسْتَاذُ: وَاحِدْ ، وَوَقَفَ قَلِيْلاً ثُمَّ قَالَ: اثْـنَـان ، فَتَقَدَّمَ سَعِيْدٌ ، فَقَالَ الأُسْتَاذُ: تَأَخَّرْ يَا سَعِيْدُ وَأَنَا أَعُدُّ مَرَّةً ثَانِيَةً فَقَالَ: وَاحِدْ ، اثْنَانْ ، ثَلاَثَةْ ، فَطَارَ الأَوْلاَدُ لاَ يَدْرِيْ أَحَدٌ مَنِ السَّابِقُ ، حَتَّىٰ بَـرَزَ مُحَمَّد وَهَتَفَ[2] الأَوْلاَدُ بِاسْمِهِ وَقَالُوْا: مُحَمَّد مُحَمَّد وَصَاحُوْا :مَرْحَىٰ مَرْحَىٰ[3] ، وَكَانَ هُوَ الْمُجَلِّيَ، وَلَحِقَهُ إِبْرَاهِيْمُ فَكَانَ هُوَ الْمُصَلِّيَ ، وَجَاءَ دَوْرِيْ وَقُمْتُ فِيْ أَقْرَانِيْ وَأَكْفَائِيْ وَعَدَّ الأُسْتَاذُ: وَاحِدْ ، اثْنَانْ ، ثَلاَثَةْ ، وَأَبْطَأْتُ قَلِيْلاً عِنْدَ الْجَرْيِ فَمَا قَدَرْتُ أَنْ أَسْبِقَ وَأَكُوْنَ الْمُجَلِّي ، وَوَصَلْنَا إِلَىٰ الْغَايَةِ وَكُنْتُ الْمُصَلِّيَ.

وَكَانَ خَالِدٌ الْمُجَلِّيَ ، فَهَتَفَ الأَوْلاَدُ بِاسْمِهِ وَقَالُوا: مَرْحَىٰ مَرْحَىٰ ، وَكَانَ إِخْوَانِيْ يَظُنُّوْنَ أَنِّيْ أَنَا الْمُجَلِّيَ ، لأَنِّي خَفِيْفٌ

---

(١) الْقَصَبَة (ج) الْقَصَبَات: كل أنبوبة في ساق الشَّجَر تنتهي بعقدتين.

(٢) هَتَفَ يَهْتِفُ هَتْفاً به: صَاحَ به.

(٣) مَرْحَىٰ: كلمة تعجُّب: تقال للرَّامي أو الخطيب أو نحوهما إذا أصاب وإذا أخطأ قيل له: مَرْحَىٰ.

وَسَرِيْعٌ وَأَجْرِي كُلَّ يَوْمٍ ، وَتَأَسَّفْتُ أَيْضاً ولكِنِّي قُلْتُ فِيْ نَفْسِيْ: سَأَسْبقُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةٍ عِنْدَ انْتِهَاءِ السَّنَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَخَطَبَ الأُسْتَاذُ فِي الأَخِيْرِ وَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُسَابِقُ وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَتَسَابَقُوْنَ ، وَيَنْبَغِيْ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكُوْنَ نَشِيْطاً خَفِيفاً قَوِيّاً حَتَّىٰ لاَ يَعْجزُ فِي الْجِهَادِ.

❊ ❊ ❊

(١١)

السَّاعَـــةُ

حَارِثٌ: كَمِ السَّاعَةُ يَا أَخِيْ؟

سَعِيْدٌ: السَّاعَةُ عَشْرٌ وَرُبْعٌ أَلَيْسَ عِنْدَكَ سَاعَةٌ؟

حَارِثٌ: بَلَىٰ! وَلٰكِنَّ سَاعَتِيْ وَاقِفَةٌ.

سَعِيْدٌ: لَعَلَّكَ مَا مَلأْتَهَا.

حَارِثٌ: نَعَمْ! نَسِيْتُ أَنْ أَمْلأَهَا الْبَارِحَةَ، أَنَا أَمْلأُهَا فِي السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ فِي اللَّيْلِ وَلٰكِنِّيْ غَلَبَتْنِيْ عَيْنِيْ الْبَارِحَةَ فَقَدْ كُنْتُ تَعِباً جِدّاً فَمَا مَلأْتُهَا.

سَعِيْدٌ: هَلْ تُرِيْدُ ضَبْطَهَا[1] بِسَاعَتِيْ؟

حَارِثٌ: نَعَمْ! أَضْبِطُهَا بِسَاعَتِكَ إِذَا كَانَتْ سَاعَتُكَ مُسْتَقِيْمَةً.

---

(١) ضَبَطَ يَضْبُطُ ضَبْطاً: فلانٌ الساعةَ: صَحَّحَها.

سَعِيْدٌ: سَاعَتِيْ تَتَقَدَّمُ دَقِيْقَتَيْنِ فِيْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِيْنَ سَاعَةً وَقَدْ ضَبَطْتُّهَا الْبَارِحَةَ فَأَخَّرْتُهَا دَقِيْقَتَيْنِ.

حَارِثٌ: كَمِ السَّاعَةُ الآنَ؟

سَعِيْدٌ: الآنَ عَشْرٌ وَثُلُثٌ.

حَارِثٌ: أَشْكُرُكَ، أَرِنِيْ سَاعَتَكَ.

سَعِيدٌ: تَفَضَّلْ.

حَارِثٌ: إِنَّ سَاعَتَكَ ثَمِيْنَةٌ وَجَمِيْلَةٌ مِيْنَاؤُهَا جَمِيْلٌ وَعَقَارِبُهَا دَقِيْقَةٌ وَغِطَاؤُهَا نَظِيْفٌ، بِكَمْ اشْتَرَيْتَهَا يَا سَعِيْدُ؟

سَعِيْدٌ: أَهْدَاهَا إِلَيَّ أَخِي الْكَبِيْرُ وَأَخْبَرَنِيْ أَنَّهُ اشْتَرَاهَا بِثَلاَثِيْنَ رُبِّيَّةً، وَسَاعَتُكَ بِكَمْ؟

حَارِثٌ: سَاعَتِيْ أَرْخَصُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا بِعِشْرِيْنَ رُبِّيَّةً، قَدْ أَهْدَاهَا إِلَيَّ عَمِّيْ لَمَّا رَجَعَ مِنَ السَّفَرِ.

سَعِيْدٌ: إِنَّ السَّاعَةَ لاَزِمَةٌ[1] فِيْ هذَا الزَّمَانِ، فَبِالسَّاعَةِ يَعْرِفُ التِّلْمِيْذُ مِيْعَادَ[2] الْمَدْرَسَةِ، وَبِالسَّاعَةِ يَعْرِفُ الْمُسْلِمُ أَوْقَاتَ الْجَمَاعَةِ وَالصَّلَوَاتِ.

---

(١) لاَزمة: ضرُوْرِيّة.

(٢) الميعاد: الوقت.

حَارِثٌ: نَعَمْ! أَنَا كُنْتُ أَتَأَخَّرُ عَنْ مِيْعَادِ الْمَدْرَسَةِ فِيْ بَعْضِ الأَيَّامِ وَتَـفُوْتُـنِي الْجَمَاعَةِ أَحْيَاناً ، وَلٰكِنْ مُنْذُ اشْتَـرَيْتُـهَا لَمْ أَتَأَخَّرْ عَنِ الْمَدْرَسَةِ وَمَا فَاتَتْنِيْ جَمَاعَةٌ.

سَعِيْدٌ: أَسْتَأْذِنُكَ لأَنِّيْ مُسَافِرٌ الْيَوْمَ وَمِيْعَادُ الْقِطَارِ السَّاعَةُ اثْنَتَا عَشَرَةَ إِلاَّ عَشْراً.

حَارِثٌ: الْوَقْتُ وَاسِعٌ فَلَيْسَ الآنَ إِلاَّ عَشْرٌ وَنِصْفٌ وَالْمَحَطَّةُ قَرِيْـبَـةٌ مِنْ بَيْتِكَ.

سَعِيْدٌ: نَعَمْ! الوقتُ واسِعٌ ، وَلٰكِنْ لِيْ شُغْلٌ فِي السُّوْقِ وَلَمْ أَرْبِطِ الْحَوَائِجَ إِلَىٰ الآنَ.

حَارِثٌ: عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ ، السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ.

سَعِيْدٌ: وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.



(١٢)

الْـفُـطُــورُ

طَلَبْتُ مِنْ أَبِيْ وَأُمِّيْ أَنْ أَصُوْمَ يَوْمَاً مِنْ رَمَضَانَ ، فَقَالَ أَبِيْ: إِنَّكَ صَغِيْرٌ ضَعِيْفٌ لاَ تَصْبِرُ عَلَىٰ الْجُوْعِ وَالْعَطَشِ ، وَقَالَتْ أُمِّيْ: هٰذِهِ أَيَّامُ صَيْفٍ وَالصَّوْمُ فِيْهَا شَدِيْدٌ اصْبِرْ حَتَّىٰ تَكُوْنَ أَيَّامُ شِتَاءٍ.

وَلٰكِنِّيْ بَكَيْتُ وَقُلْتُ: قَدْ صَامَ مَحْمُوْدٌ وَهُوَ فِيْ سِنِّيْ ، وَقَدْ صَامَ إِسْماعِيْلُ وَهُوَ أَصْغَرُ مِنِّيْ ، وَلِمَاذَا أَنْتَظِرُ أَنا؟

وَقَدْ رَأَيْتُ مَحْمُوْداً لَمَّا صَامَ لَبِسَ لِبَاساً جَدِيْداً وَصُنِعَتْ لَهُ أَطْعِمَةٌ لَذِيْذَةٌ وَقَدَّمَ لَهُ أَقَارِبُهُ هَدَايَا وَجَوَائِزَ وَاجْتَمَعَ نَاسٌ كَثِيْرٌ ، وَكَانَ مَحْمُودٌ لَهُ شَرَفٌ [١] ، كُلٌّ يَتَحَادَثُ مَعَهُ وَيُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ.

وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ الْوَلَدَ الصَّغِيْرَ إِذَا صَامَ كَانَ لِوَالِدَيْهِ الأَجْرُ وَالثَّوَابُ ، وَأُحِبُّ أَنْ يَنَالَ أَبِيْ وَأُمِّي الأَجْرَ وَالثَّوَابَ.

---

(١) الشَّرَفُ (ج) الأَشْرَاف: العُلُوّ والمَجْد.

وَقَبلَ أَبِيْ وَرَضِيَتْ أُمِّيْ ، وَدَعَتْ أُمِّيْ أَصْدِقَائِي وَأَتْرَابِي[1] لِلسُّحُوْرِ مَعِيْ فَبَاتُوْا فِيْ بَيْتِيْ ، وَفِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فِي اللَّيْلِ اسْتَيْقَظْنَا وَقَدَّمَتْ أُمِّيْ طَعَاماً لَذِيْذاً ، فَأَكَلْنَا وَشَبِعْنَا وَنِمْنَا قَلِيْلاً وَاسْتَيْقَظْنَا لِصَلاَةِ الصُّبْحِ .

وَفِي النَّهَارِ أَرَادَتْ أُمِّيْ أَنْ تَشْغُلَنِيْ فَلاَ أَذْكُرُ الْجُوْعَ وَالْعَطَشَ ، فَأَمَرَتْنِيْ بِأَشْغَالٍ لَيْسَ فِيْهَا تَعَبٌ ، وَكُنْتُ فِيْ شُغْلٍ وَحَدِيْثٍ مَعَ الأَصْدِقَاءِ وَالأَتْرَابِ ، حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ وَمَا شَعَرْتُ بِجُوْعٍ وَلاَ عَطَشٍ .

وَفِي الظَّهِيْرَةِ شَعَرْتُ بِظَمَأٍ وَحَرٍّ فَاغْتَسَلْتُ فَذَهَبَ عَنِّي الظَّمَأُ وَاسْتَرَحْتُ .

وَفِي الْعَصْرِ شَعَرْتُ بِالجُوْعِ وَرَأَيْتُ أَطْعِمَةً وَثِمَاراً وَفَوَاكِهَ ، وَقَالَ لِيْ أَحَدُ الأَصْدِقَاءِ : لا بَأْسَ أَنْ تَأْكُلَ شَيْئاً وَلاَ يَرَاكَ الآنَ أَحَدٌ ، وَقَدْ أَكَلْتُ أَيْضاً لَمَّا كُنْتُ صَائِماً ، قُلْتُ : نَعَمْ! لاَ يَرَانِيْ هُنَا أَحَدٌ وَلٰكِنَّ اللهَ يَرَانِيْ .

وَسَكَتَ صَدِيْقِيْ وَصَبَرْتُ عَلَىٰ الْجُوْعِ .

وَقَبْلَ الْغُرُوْبِ حَضَرَ أَصْدِقَاءُ أَبِيْ وَأَقَارِبُنَا وَنُقِلَ الْفُطُوْرُ إِلَىٰ

---

(١) الأَتْرَاب جمع التِّرْب : المُمَاثل في السنّ (للمذكّر والمؤنّث) .

الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ الْوَقْتُ شَدِيداً عَلَيَّ فَكُنْتُ أَرْمُقُ[1] الْمُؤَذِّنَ وَأَعُدَّ الدَّقَائِقَ ، فَلَمَّا أَذَّنَ أَفطَرْتُ بِتَمْرَةٍ ثُمَّ أَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَقُلْتُ كَمَا عَلَّمَنِيْ أَبِيْ :

«ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوْقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ» .

وَمَا أَكَلْتُ طَعَاماً أَلَذَّ مِنْ طَعَامِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ ، وَمَا كَانَ يَوْمٌ أَجْمَلَ فِيْ حَيَاتِيْ مِنْ ذٰلِكَ الْيَوْمِ .

* * *

---

(١) رَمَقَ يَرْمُقُ : نَظَرَ إِليه وأَتْبَعَه بصره .

(١٣)

الأَمَانَــــةُ

اسْتَأْجَرَ رَجُلٌ قَوْمَاً ، فَاشْتَغَلُوْا وَعَمِلُوْا ، وَلَمَّا فَرَغُوْا مِنْ شُغْلِهِمْ جَاؤُوا إِلَيْهِ فَأَعْطَاهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَانَ فِيْهِمْ رَجُلٌ اشْتَغَلَ مَعَهُمْ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ أَجْرَهُ وَتَرَكَهُ وَذَهَبَ.

وَكَانَ الرَّجُلُ كَرِيْمَاً أَمِيْنَاً ، فَلَمْ يَأْكُلْ أُجْرَتَهُ ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا ، وَخَافَ اللهَ وَوَضَعَهَا فِي التِّجَارَةِ ، وثَمَّرَهَا[1] وَأَثْمَرَتِ الأُجْرَةُ كَثِيْراً ، وَكَثُرَت مِنْهَا الأَمْوَالُ.

وَبَعْدَ حِيْنٍ جَاءَهُ الأَجِيْرُ وَهُوَ خَائِفٌ أَنْ لَا يَعْرِفَهُ الرَّجُلُ ، فَقَدْ طَالَت الْمُدَّةُ ، وَمَضَىٰ زَمَنٌ كَثِيْرٌ ، وَمَاذَا يَفْعَلُ الْمِسْكِيْنُ إِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ الرَّجُلُ أَوْ نَسِيَ قِصَّتَهُ.

---

(١) ثَمَّرَ يُثَمِّرُ تَثْمِيْراً فلانٌ مالهُ: نَمَّاه.

جَاءَ الأَجِيْرُ وَهُوَ لاَ يَطْمَعُ إِلاَّ فِي أُجْرَتِهِ الْقَلِيْلَةِ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ، وَإِذَا جَحَدَهَا الرَّجُلُ وَلَمْ يَدْفَعْهَا رَجَعَ خَائِباً[١] .

وَلٰكِنَّهُ جَاءَهُ لأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ هٰذِهِ الدَّرَاهِمِ ، فَقَالَ: يا عَبْدَ اللهِ! أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِيْ ، فَمَا جَحَدَ الرَّجُلُ وَمَا أَنْكَرَ ، بَلْ قَالَ: كُلُّ مَا تَرَىٰ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيْقِ مِنْ أَجْرِكَ .

دُهِشَ الرَّجُلُ وَتَحَيَّرَ وَظَنَّ أَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِ ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَسْتَهْزِئْ بِيْ .

قَالَ الرَّجُلُ: لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ ، فَكُلُّ مَا تَرَىٰ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيْقِ لَكَ ، فَإِنِّيْ قَدْ وَضَعْتُ أُجْرَتَكَ فِي التِّجَارَةِ ، وَثَمَّرْتُهَا وَأَثْمَرَتْ هٰذِهِ الإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالرَّقِيْقَ[٢] .

فَأَخَذَ الأَجِيْرُ الإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالرَّقِيْقَ وَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئاً .

وَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَىٰ هٰذِهِ الأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ .

وَقَدْ وَقَعَ هٰذَا الرَّجُلُ الأَمِيْنُ مَرَّةً فِيْ غَارٍ ، وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِ[٣]

---

(١) جَحَدَ يَجْحَدُ جَحْداً وجُحُوْداً فلانٌ الأَمْرَ: أَنْكَرَه مع علمه به.

(٢) الرَّقِيْق (ج) الأَرِقَّاء: مملوك ، عبد.

(٣) انْطَبَقَ عليه الشيء: غطاه وَستره.

صَخْرَةٌ ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الْحَيَاةِ دَعَا اللهَ بِهَذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَاكْشِفْ عَنَّا هٰذِهِ الصَّخْرَةَ ، فَأَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُ وَأَعَانَهُ.

*** * ***

(١٤)

الصَّيْـدُ

خَرَجْتُ يَوْمَ عُطْلَةٍ مَعَ صَيَّادِيْنَ عِنْدَهُمْ بَنَادِقُ وَسَكَاكِيْنُ ، خَرَجْنَا مُبَكِّرِيْنَ فِي الصَّبَاحِ لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ ، وَكَانَ مَعِيْ كَثِيْرٌ مِنْ أَتْرَابِيْ وَأَصْدِقَائِيْ ، وَأَخَذْنَا غَدَاءَنَا مَعَنَا لِنَتَغَدَّىٰ إِذَا غَلَبَنَا الْجُوْعُ ، وَكُنَا نُرِيْدُ أَنْ نَرْجِعَ فِي الْمَسَاءِ.

وَلَمْ نَـزَلْ نَمْشِيْ فِي الْحَرِّ وَالشَّمْسِ حَتَّىٰ تَعِبْنَا ، وَغَلَبَنَا الْجُوْعُ وَالظَّمَأُ ، وَكَانَ الْغَدَاءُ مَعَ خَلِيْلٍ ، وَقَدْ ضَلَّ[1] الطَّرِيْقَ ، وَمَا وَجَدْنَا طَعَامَاً وَلاَ مَاءً.

وَانْتَصَفَ النَّهَارُ وَجَلَسْنَا فِيْ ظِلِّ شَجَرَةٍ نَنْتَظِرُ خَلِيْلاً ، وَبَـرَزَ خَلِيْلٌ مِنْ بُعْدٍ فَنَـادَيْـنَاهُ بِاسْمِهِ وَحَمِدْنَا اللهَ ، وَتَغَدَّيْنَا وَاسْتَرَحْنَا قَلِيْلاً ، ثُمَّ خَرَجْنَا.

وَدَخَلْنَا فِي الْغَابَةِ وَوَجَدْنَـا آثَارَ بَـقَرِ الْوَحْشِ فَتَـفَرَّقْنَا وَجَلَسْنَا

---

(١) ضَلَّ يَضِلُّ ضَلالاً: فلانٌ الطريقَ: غَابَ وَضَاعَ ولم يهتدِ إليه.

بِالْمِرْصَادِ[1] وَخَرَجَتْ بَقَرَةٌ مِنَ بَيْنِ الأَشْجَارِ ، وَكَانَ السَّيِّدُ إِسْمَاعِيْلُ مُسْتَعِدّاً فَصَوَّبَ[2] إِلَيْهَا بُنْدُقِيَّتَه ، وَأَطْلَقَ الرَّصَاصَةَ وَأَصَابَ الْبَقَرَةَ فِيْ صَدْرِهَا ، فَسَقَطَتْ جَرِيْحاً تَضْرِبُ بِرِجْلَيْهَا .

وَسَمِعَ الإِخْوَانُ صَوْتَ الْبُنْدُقِيَّةِ فَجَاؤُوا ، وَذَبَحَهَا يَاقُوتُ بِسِكِّيْنٍ كَبِيْرٍ حَادٍّ وَسَمَّىٰ اللهَ وَكَبَّرَ ، وَكُنَّا نَتَكَلَّمُ وَكُنَّا مُطْمَئِنِّيْنَ إِذْ خَرَجَتْ بَقَرَةٌ أُخْرَىٰ ، فَأَطْلَقَ عَلَيْهَا هَاشِمٌ بُنْدُقِيَّتَهُ بِسُرْعَةٍ ، وَمَا قَدَرَ أَنْ يُصَوِّبَ الْبُنْدُقِيَّةَ ، فَأَخْطَأَتِ الرَّصَاصَةُ وَمَا صَادَتِ الْبَقَرَةَ وَتَأَسَّفَ هَاشِمٌ وَتَأَسَّفَتِ الْجَمَاعَةُ .

وَصِدْنَا حَمَامَتَيْنِ بِرَصَاصَةٍ وَبَطَّتَيْنِ بِرَصَاصَتَيْنِ ، وَكَانَ عِنْدِيْ سِكِّيْنٌ صَغِيرٌ حَادٌّ فَذَبَحْتُ الْبَطَّتَيْنِ ، وَسَمَّيْتُ اللهَ وَكَبَّرْتُ .

وَقُلْتُ لِلسَّيِّدِ إِسْمَاعِيْلَ : أَنَا أُرِيْدُ أَنْ أَصِيْدَ أَيْضاً ، فَأَعْطَانِيْ بُنْدُقِيَّتَهُ وَوَضَعَ فِيْهَا رَصَاصَةً ، وَكُنْتُ أَعْرِفُ كَيْفَ أُصَوِّبُ الْبُنْدُقِيَّةَ وَكَيْفَ أُطْلِقُهَا ، لأَنِّيْ أَطْلَقْتُ الْبُنْدُقِيَّةَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ أَوْ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَذَهَبْتُ وَجَلَسْتُ بِالْمِرْصَادِ ، وَجَاءَ حَمَامٌ وَوَقَعَ عَلَىٰ شَجَرَةٍ قَرِيْبَةٍ ، وَصَوَّبْتُ بُنْدُقِيَّتِي نَحْوَ الْحَمَامِ ، وَأَطْلَقْتُ

---

(١) الْمِرْصَادُ (ج) الْمَرَاصِيْد : طَرِيْق الرَّصْدِ والمُرَاقَبَة .

(٢) صَوَّب يُصوِّبُ تَصْوِيْباً : البندقية والسهم ونحوهما وجهها إلى الهدف .

الْبُنْدُقِيَّةَ ، فَأَصَبْتُ حَمَامَتَيْنِ وَفَرِحْتُ جِداً لَمَّا أَصَبْتُ الْحَمَامَتَيْنِ وَكَبَّرْتُ مِنَ الْفَرَحِ.

وَجَاءَ الإِخْوَانُ وَقَالُوْا: مَرْحَىٰ مَرْحَىٰ ، وَقَالُوا: مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ خَالِداً صَيَّادٌ.

وَمَا رَضِيْتُ أَنْ يَذْبَحَهُمَا أَحَدٌ ، فَذَهَبْتُ وَسَمَّيْتُ اللهَ وَذَبَحْتُ الْحَمَامَتَيْنِ بِسِكِّيْنِي الصَّغِيْرِ الْحَادِّ ، وَرَجَعْنَا إِلَىٰ الْقَرْيَةِ فِي الْمَسَاءِ بِصَيْدٍ كَثِيْرٍ ، وَقُطِعَتِ الْبَقَرَةُ قِطَعاً قِطَعاً ، وَأَهْدَيْنَا لَحْمَهَا إِلَىٰ جَمِيْعِ الأَصْدِقَاءِ وَالأَقَارِبِ وَأَهْلِ الْقَرْيَةِ ، فَأَكَلُوا وَشَبِعُوْا وَشَكَرُوْا الصَّيَّادِيْنَ.



(١٥)

مـأْدُبَــةٌ

رَجَعَ أَخِيْ مِنَ الْحَجِّ ، فَفَرِحَ أَهْلُ الْبَيْتِ كَثِيْراً وَفَرِحَتْ أُمِّيْ جِدّاً ، وَصَنَعَتْ أُمِّيْ طَعَاماً وَدَعَتْ إِلَيْهِ الأَقَارِبَ وَالأَصْدِقَاءَ وَكَثِيراً مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ .

وَفَرِحْنَا جِدّاً ، وَفَرَشْنَا فِرَاشاً نَظِيْفاً أَمَامَ الْبَيْتِ وَكَانَتْ أَيَّامُ صَيْفٍ ، وَوَضَعْنَا أَبَارِيْقَ[1] فِيْهَا مَاءٌ لِغَسْلِ الأَيْدِيْ ، وَوَضَعْنَا صَابُوْناً وَمِنْشَفَةً وَبَسَطْنَا سُفْرَةً[2] وَاسِعَةً ، حَضَرَ النَّاسُ فِي الْمَسَاءِ ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ أَخِيْ وَقُلْنَا: مَرْحَباً وَجَلَسُوا قَلِيْلاً وَحَضَرَ الطَّعَامُ ، فَجَلَسَ الضُّيُوفُ حَوْلَ السُّفْرَةِ ، وَقَدَّمْنَا الرَّغِيْفَ الْحَارَّ

---

(١) أَبَارِيق جمع إبْرِيْق: وعاء من الخزف أو المعدن له عروة ومصبّ خرطوميّ الشكل يصبّ منه الماء ونحوه.

(٢) سُفْرَة (ج) سُفَر: المائدة وما عليها من الطَّعامِ.

وَاللَّحْمَ وَالرُّزَّ فِيْ صُحُونٍ وَالرَّائِبَ[1] فِيْ أَقْدَاحٍ ، فَسَمَّوُا اللهَ وَأَكَلُوْا .

وَكُنَّا قَائِمِيْنَ نُلاحِظُ الضُّيُوْفَ ، وَنُقَدِّمُ لَهُمُ الْخُبْزَ وَالطَّعَامَ وَنَسْقِيْهِمُ الْمَاءَ الْمَثْلُوجَ ، وَأَصَابَ النَّاسَ مِنْ كُلٍّ مِنَ الطَّعَامِ وَأَكَلُوْا بِرَغْبَةٍ وَحَمِدُوا اللهَ .

وَقَامُوْا وَغَسَلُوا أَيْدِيَهُمْ وَمَسَحُوْهَا بِالْمِنْشَفَةِ ، وَجَلَسُوْا إِلَىٰ أَخِيْ يَتَحَدَّثُوْنَ وَيَتَكَلَّمُوْنَ وَيَسْمَعُوْنَ مِنْهُ أَخْبَارَ الْحِجَازِ وَحَدِيْثَ مَكَّةَ الْمُشَرَّفَةِ وَالْمَدِيْنَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَمِنَىٰ وَعَرَفَاتٍ بِكُلِّ رَغْبَةٍ وَسُرُوْرٍ ، وَاشْتَاقُوا إِلَىٰ الْحجِّ ، وَدَعَوُا اللهَ أَنْ يُوَفِّقَهُمْ لِذٰلِكَ .

ثُمَّ اسْتَأْذَنُوْا لِلْخُرُوْجِ وَقَامُوْا يَقُوْلُونَ :

«أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُوْنَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلائِكَةُ» .

* * *

(١) الرَّائِبُ : اللَّبَن الَّذِي يُخضّ فيخرج زبدة .

(١٦)

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ

كَانَ رَجُلٌ لَهُ أَبَوَانِ كَبِيْرَانِ وَأَوْلَادٌ صِغَارٌ ، وَكَانَ بَراً بِالْوَالِدَيْنِ شَفِيْقاً عَلَىٰ الأَوْلَادِ.

وَكَانَ يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّبَاحِ إِلَىٰ الْمَرْعَىٰ وَيَرْعَىٰ الْمَاشِيَةَ وَيَرْجِعُ بِهَا فِي الْعِشَاءِ ، فَيَحْلِبُهَا[١] وَيَسْقِيْ وَالِدَيْهِ وَأَوْلَادَهُ الصِّغَارَ.

وَكَانَ أَبَوَاهُ وَأَوْلَادُهُ الصِّغَارُ يَنْتَظِرُوْنَ قُدُوْمَهُ ، وَلَا يَنَامُوْنَ حَتَّىٰ يَحْضُرَ الرَّجُلُ وَيَسْقِيْهُمُ اللَّبَنَ.

مَرَّةً ذَهَبَ الرَّجُلُ بِالْمَاشِيَةِ إِلَىٰ الْمَرْعَىٰ[٢] ، فَبَعُدَ فِيْ طَلَبِ

---

(١) حَلَبَ يَحْلِبُ حَلْباً ـ الشاة ونحوها: اسْتَخْرَجَ ما في ضَرْعها من اللبن.

(٢) مَرْعىٰ (ج) مَرَاعٍ: ما ترعاه الماشية ، وموضع الرعي.

الشَّجَرِ وَالْعَلَفِ[1] فتَأَخَّرَ ذٰلِكَ الْيَوْمَ ، فَرَجَعَ إِلَىٰ الْبَيْتِ وَقَدْ ذَهَب كَثِيرٌ مِنَ اللَّيْلِ.

وَانْتَظَرَ أَبُوْهُ وَأُمُّهُ طَوِيْلاً ، وَكَانَ أَبُوهُ جَائِعاً وَكَانَتْ أُمُّهُ جَائِعَةً ، وَرَقَدَ[2] أَبُوهُ وَرَقَدَتْ أُمُّهُ بَعْدَ الانْتِظَارِ الطَّوِيْلِ.

وَرَجَعَ الرَّجُلُ وَدَخَلَ الْبَيْتِ ، فَوَجَدَ أَنْ أَبَاهُ الشَّيْخَ قَدْ رَقَدَ ، وَأَنَّ أُمَّهُ الْعَجُوْزَ قَدْ رَقَدَتْ.

فَتَأَسَّفَ الرَّجُلُ وَحَزِنَ كَثِيْراً وَنَدِمَ عَلَىٰ تَأْخِيْرِهِ ، وَقَالَ: أَسَفاً إِنِّي تَأَخَّرْتُ الْيَوْمَ فِي الْمَرْعَىٰ وَبَعُدْتُّ فِيْ طَلَبِ الشَّجَرِ وَالْعَلَفِ لأَرْعَىٰ الْمَاشِيَةَ حَتَّىٰ رَقَدَ الشَّيْخُ وَرَقَدَتِ الْعَجُوزُ.

وَفَكَّرَ الرَّجُلُ هَلْ يُوْقِظُ الشَّيْخَ وَالْعَجُوْزَ؟

وَكَرِهَ الرَّجُلُ أَنْ يُوْقِظَ الشَّيْخَ والْعَجُوْزَ.

وَكَانَ أَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ يَنْتَظِرُوْنَهُ وَكَانُوْا جِيَاعاً فَطَلَبُوا مِنْهُ اللَّبَنَ.

وَلٰكِنَّ الرَّجُلَ كَرِهَ[3] أَنْ يَسْقِيَ أَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ قَبْلَ وَالِدَيْهِ ، وَخَافَ اللهَ وَقَالَ: كَيْفَ أَسْقِيْكُمْ وَلَمْ أَسْقِهِمْ ، إِنِّي إِذاً لَمن الظَّالِمِيْنَ.

---

(١) عَلَف (ج) أعْلَاف وعِلَاف: طَعَامُ الحيوان.

(٢) رَقَدَ يَرْقُدُ رُقَاداً ورُقُوداً: نَامَ.

(٣) كَرِهَ يَـكْرَهُ كَرَاهةً : فلانٌ الرجلَ: مَقَتهُ (عَكْسهُ أَحبَّه).

وَحلَبَ الرَّجُلُ الْمَاشِيَةَ وَوَقَفَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَسْتَيْقِظَ أَبوَاهُ ، وَبَقِيَ وَاقِفاً وَالْقَدَحُ عَلَىٰ يَدِهِ ، وَالأَطْفَالُ يَبْكُونَ وَيَصِيْحُوْنَ عِنْدَ قَدَمِهِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَسْقِهِمْ شَيْئاً مِنَ الْقَدَحِ وَلَمْ يَشْرَبْ ، وَبَاتَ قَائِماً وَالْقَدَحُ عَلَىٰ يَدِهِ.

وَطَلَعَ الْفَجْرُ وَاسْتَيْقَظَ وَالِدَاهُ ، فَقَدَّمَ الرَّجُلُ لَهُمَا قَدَحَ اللَّبَنِ فَشَرِبَا ثُمَّ سَقَىٰ أَوْلَادَهُ ، وَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ هذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ بَرّاً بِالْوَالِدَيْنِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْ هذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَقَبِلَهُ.

وَمَرَّةً كَانَ هٰذَا الرَّجُلُ الْبَرُّ مَاشِياً فِي اللَّيْلِ ، فَرَأَىٰ غَاراً ، فَقَالَ: أَبِيْتُ اللَّيْلَ فِيْ هٰذَا الْغَارِ وَأَخْرُجُ فِي الصَّبَاحِ.

وَدَخَلَ الْغَارَ لِيَبِيْتَ ، فَانْحَدَرَتْ[1] صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ[2] عَلَيْهِ الْغَارَ. فَدَعَا اللهَ بِهٰذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَقَالَ:

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّيْ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَاكْشِفْ هٰذِهِ الصَّخْرَةَ ، فَأَجَابَ اللهُ دَعْوَةَ هٰذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ وَأَعَانَهُ.

* * *

---

(١) انْحَدَرَ يَنْحَدِرُ انْحِدَاراً: نَـزَلَ وأَقْبَلَ.

(٢) سَدَّ يَسُدُّ سَدّاً على الشيء: أغْلَقَه.

(١٧)

فَضِيْلَةُ الشُّغْلِ

إِنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلَهُ ، فَقَالَ: أَمَا فِيْ بَيْتِكَ شَيْءٌ؟

قَالَ: بَلَىٰ حِلْسٌ[١] نَلْبَسُ بَعْضَهُ ، وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ[٢] نَشْرَبُ فِيْهِ مِنَ الْمَاءِ.

قَالَ: ائْتِنِيْ بِهِمَا.

فَأَخَذَهُمَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِيْ هٰذَيْنِ؟

قال رجلٌ : أَنَـا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ.

قال : مَنْ يَـزِيْدُ عَلَىٰ دِرْهَمٍ ؟ مَنْ يَـزِيْدُ عَلَىٰ دِرْهَمٍ ؟

---

(١) حِلْسُ جمع: أحلاس: مايُبْسَطُ في البَيْتِ من حصير ونحوه تحت كريم المتاع.

(٢) قَعْب جمع: قِعَاب ، وأَقْعُبٌ: قَـدَحٌ ضَخْمٌ غَلِيْظٌ.

قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ.

فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ وَقَالَ: اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَاماً فَانْبِذْهُ إِلَىٰ أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُوْماً فَائْتِنِيْ بِهِ.

فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُوْداً بِيَدِهِ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ[1] وَبِعْ وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً.

فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيْعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ[2] عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَىٰ بِبَعْضِهَا ثَوْباً وَبِبَعْضِهَا طَعَاماً.

فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: هٰذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيْءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً[3] فِيْ وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.



(١) احْتَطَبَ يَحْتَطِبُ احْتِطَاباً: حَطَبَ (أي: جَمَعَ الْحَطَبَ).

(٢) أَصَابَ يُصِيْبُ إِصَابَةً: الشيءَ: أَدْرَكَه.

(٣) نُكْتَة (ج) نُكَت ونِكَاتُ: نقطة سوداء في بياض أو بيضاء في سواد، وجمْلة لطيفة تؤثِّر في النفس انبساطاً، ومسألة علمية دقيقة.

(١٨)

تِرْنِيْمَةُ[1] الْوَلَدِ فِي الصَّبَاحِ

أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَقَدْ وَلَّىٰ[2] الظَّلَامُ هَارِبَا
فَالشُّكْرُ للهِ الأَحَدْ شُكْراً عظِيْماً وَاجِبَا
مَا أَحْسَنَ النُّوْرَ أَرَىٰ فِيْهَا الأُمُوْرَ بَاسِمَهْ
وَالطَّيْرُ تَشْدُوْ[3] سَحَراً عَلَىٰ الغُصُونِ قَائِمَهْ
مَا أَحْسَنَ النُّوْرَ الْبَهِي[4] فِيْهِ أَجِدُّ عَامِلاَ
إِنِّي أَوَدُّ دَائِماً أَلَّا أَكُونَ خَامِلا[5]
اللهُ قَدْ أَجَارَنِيْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ فِي الظَّلَامِ
شُكْراً لَهُ قَدْ صَانَنِيْ شُكْراً لَهُ عَلَىٰ الدَّوَامِ

(مَدَارِجُ الْقِرَاءَةِ)

* * *

---

(١) تِرْنِيْمة (ج) تَرَانِيْم: أغنية صغيرة خفيفة اللحن.
(٢) وَلَّى الظَّلامُ هارباً: أدْبَرَ عنه ونَأَىَ (بَعُدَ).
(٣) شَدَا يَشْدُو شَدْواً: تَرنَّمَ وَتَغَنَّىٰ.
(٤) بَهِيّ (ج) أَبْهِيَاء: رائع الحسن.
(٥) خَامِل: (ج) خَمَلَة، مجهول الاسم لا نَبَاهَةَ له.

(١٩)

أَصْدِقَائِي

لِيْ أَرْبَعَةُ أَصْدِقَاءَ: حَسَنٌ ، وَقَاسِمٌ ، وَعُمَرُ ، وَمُحَمَّدٌ.

أَمَّا حَسَنٌ فَوَلَدٌ مُهَذَّبٌ حَلِيمٌ[1] ، لا يَكْذِبُ وَلاَ يَغْضَبُ ، أُحِبُّهُ لأَدَبِهِ وَحِلْمِهِ ، وَهُوَ رَفِيْقِي فِي الْمَدْرَسَةِ ، وَجَارِيْ فِي الْحَيِّ ، وَصَدِيْقِيْ مُنْذُ أَرْبَعِ سِنِيْنَ.

وَهُوَ يَسْكُنُ فِيْ حَيِّنَا مِنْ سِنِيْنَ ، وَبَيْتُهُ قَرِيْبٌ مِنْ بَيْتِيْ ، وَلَيْسَ بَيْنَ بُيُوتِنَا إِلاَّ بَيْتٌ وَاحِدٌ.

وَلَمْ نَتَخَاصَمْ فِيْ هٰذِهِ الْمُدَّةِ مَعَ أَنَّا نَسْكُنُ فِيْ حَيٍّ وَاحِدٍ ، وَنَقْرَأُ فِيْ صَفٍّ وَاحِدٍ ، وَنَذْهَبُ جَمِيعاً إِلَىٰ الْمَدْرَسَةِ وَنَرْجِعُ جَمِيْعاً ، وَقَدْ تَخَاصَمَ كَثِيرٌ مِنَ الأَصْدِقَاءِ ، وَأَرَىٰ كُلَّ يَوْمٍ بَعْضَ الأَوْلَادِ يَتَخَاصَمُوْنَ.

وَيُحِبُّ أَبِيْ وَأُمِّيْ حَسَناً وَيَفْرَحَانِ بِرِفَاقِهِ ، لأَنَّهُ وَلَدٌ لَيْسَ فِيهِ شَرٌّ ، وَيُحِبُّنِيْ أَبُوحَسَنٍ وَيَرَانِي كَوَلَدِهِ.

---

(١) حَلِيْم (ج) حُلَمَاء: رَشِيْد.

أَمَّا قَاسِمٌ فَوَلَدٌ ذَكِيٌّ نَشِيْطٌ تَرَاهُ دَائِماً مَسْرُوراً ، لاَ أَذْكُرُ أَنِّي رَأَيْتُهُ قَطُّ مَحْزُوْناً ، وَهُوَ ذُوْ أَخْبَارٍ وَحِكَايَاتٍ يَسُرُّ أَصْدِقَاءَهُ بِأَحَادِيْثِهِ ، وَحِكَايَاتِهِ ، وَيُحِبُّهُ أَصْدِقَاؤُهُ ، وَهُوَ مُجْتَهِدٌ فِي الدُّرُوْسِ لَمْ يَرْسُبْ فِي امْتِحَانٍ.

أَمَّا عُمَرُ فَوَلَدٌ يَتِيْمٌ يَسْكُنُ فِيْ حَيِّنَا أَيْضاً ، أُمُّهُ عَجُوزٌ تَكْتَسِبُ بِالخِيَاطَةِ وَتُنْفِقُ عَلَىٰ وَلَدِهَا ، وَلٰكِنَّ عُمَرَ وَلَدٌ كَبِيْرُ النَّفْسِ لاَ يَقْبَلُ مِنْهَا شَيْئاً ، ثِيَابُهُ رَخِيْصَةٌ وَلٰكِنَّها دَائِماً نَظِيْفَةٌ ، يُحِبُّهُ جَمِيْعُ الْمُعَلِّمِيْنَ لِصَلاَحِهِ وَأَدَبِهِ وَاجْتِهَادِهِ وَمُوَاظَبَتِهِ.

وَلَمْ يَرْسُبْ عُمَرُ فِي الامْتِحَانِ إِلاَّ مَرَّةً وَحَزِنَ كَثِيْراً ، وَحَزِنَتْ أُمُّهُ لَمَّا رَسَبَ عُمَرُ فِي الاِمْتِحَانِ ، وَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَتْرُكَ الْمَدْرَسَةَ ، وَلٰكِنْ شَجَّعَتْهُ[١] أُمُّهُ وَقَالَتْ: أَنَا أَكْتَسِبُ بِالْخِيَاطَةِ وَأُنْفِقُ عَلَيْكَ ، وَرَجَعَ عُمَرُ إِلَىٰ الْمَدْرَسَةِ وَاجْتَهَدَ كَثِيْراً ، وَنَجَحَ فِي الاِمْتِحَانِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَبَرَزَ[٢] فِي الاِمْتِحَانِ.

أَمَّا مُحَمَّدٌ فَتِلْمِيْذٌ نَجِيْبٌ مُجْتَهِدٌ جِدّاً يُبْرِزُ فِي الاِمْتِحَانِ كُلَّ سَنَةٍ ، وَوَلَدٌ كَاتِبٌ جَيِّدُ الْخَطِّ يَعْرِفُ كِتَابَةَ الرَّسَائِلِ ، وَهُوَ

---

(١) شَجَّعَ يُشَجِّعُ تَشْجِيْعاً الأستاذُ تلميذَه: قَوَّىٰ قَلْبَه وأَيَّدَه.

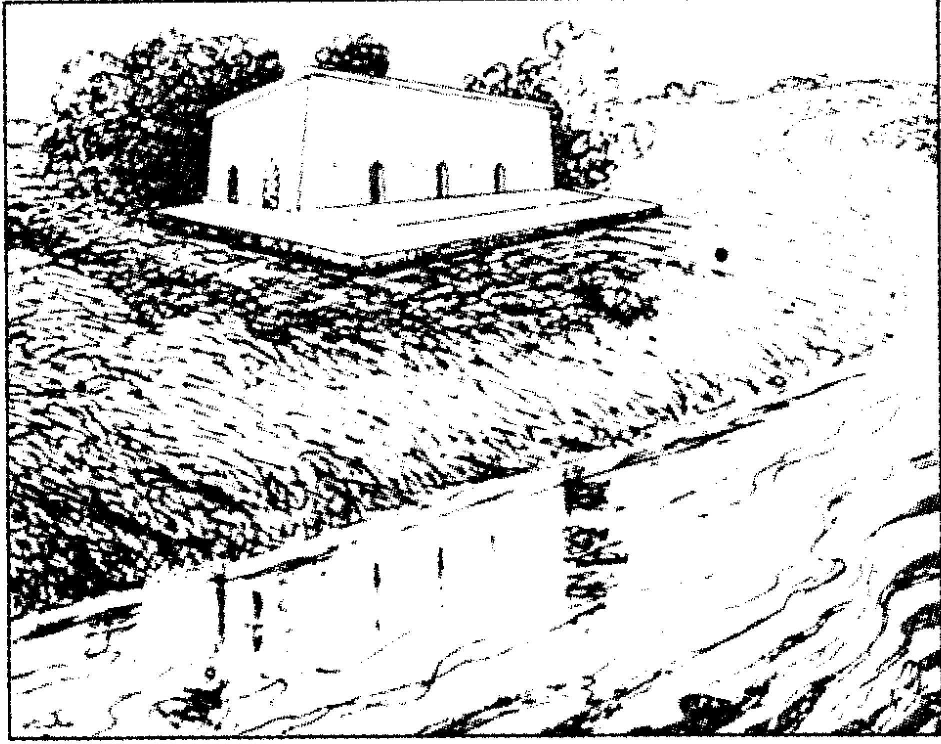
(٢) برزَ يُبَرِّزُ تبْريزاً: فَاقَ أَقْرَانَهُ.

مُتَـقَدِّمٌ فِي الصَّفِّ وَمُوَاظِبٌ عَلَى الدَّرْسِ ، وَجَمِيْعُ أَصْدِقَائِي مُحَافِظُونَ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ ، مُوَاظِبُوْنَ عَلَىٰ الدُّرُوْسِ ، وَلَمْ نَتَخَاصَمْ قَطُّ وَلمْ نَغْضَبْ ، وَأَرْجُوْ أَلَّا أَكُوْنَ شَرَّ الأَصْدِقَاءِ .

* * *

(٢٠)

قَـرْيَـتِـي



قَرْيَتِي جَمِيلَةٌ فِي وَسَطِ حُقُولٍ وَبَسَاتِيْنَ كَأَنَّهَا جَزِيْرَةٌ فِي بَحْرٍ أَخْضَرَ ، لاَ تَرَىٰ فِيْهَا إِلاَّ خُضْرَةً وَمَاءً ، فَالأَرْضُ خَضْرَاءُ وَالْحُقُولُ خَضْرَاءُ ، وَالدُّنْيَا كُلُّهَا خَضْرَاءُ فِي قَرْيَتِي ، وَيَجْرِي مِنْ تَحْتِ الْقَرْيَةِ نَهْرٌ مَاؤُهُ نَقِيٌّ شَفَّافٌ ، لأَنَّهُ يَجْرِي عَلَىٰ الرَّمْلِ ،

نَغْتَسِلُ فِيْ هذَا النَّهْرِ وَنَسْبَحُ وَنَلْعَبُ وَنَشْرَبُ مِنْ مَائِهِ النَّقِيِّ ، وَنَرَىٰ السَّمَكَ يَجْرِيْ مِنْ هُنَا وَهُنَا ، وَنَرَىٰ الصَّدَفَ[1] فِيْ قَعْرِ[2] النَّهْرِ لأَنَّ الْمَاءَ نَقِيٌّ شَفَّافٌ ، وَقَدْ تَعَلَّمْنَا السِّبَاحَةَ وَنَحْنُ صِغَارٌ ، فَإِذا كَانَتْ أَيَّامُ الْمَطَرِ فَاضَ[3] النَّهْرُ ، وَكَانَ عَرَضٌ كَبِيْرٌ عَبَرْنَا هذَا النَّهْرَ وَتَسَابَـقْنَا فِي السِّبَاحَةِ.

وَأَرَىٰ كَثِيْراً مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لاَ يَعْرِفُوْنَ السِّبَاحَةَ وَهُمْ كِبَارٌ وَيَخَافُوْنَ الْمَاءَ جِدّاً ، وَلاَ يَدْخُلُونَ النَّهْرَ.

جَاءَ مَرَّةً صَدِيْقٌ لِيْ مِنَ الْبَلَدِ وَدَخَلْنَا النَّهْرَ وَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ يَا أَخِيْ وَاغْتَسِلْ وَاسْبَحْ ، فَقَالَ: إِنِّيْ أَخَافُ الْمَاءَ وَلاَ أَعْرِفُ السِّبَاحَةَ ، فَشَجَّعْنَاهُ وَقُلْنَا: لاَ تَخَفْ وَنَحْنُ مَعَكَ ، فَتَشَجَّعَ وَدَخَلَ الْمَاءَ وَأَرَادَ أَنْ يَسْبَحَ ، وَلٰكِنْ ذَهَبَ إِلَى الْقَعْرِ ، فَأَخَذْنَا بِيَدِهِ وَرَفَعْنَاهُ فَخَرَجَ وَقَدْ شَرِبَ الْمَاءَ.

وَكَانَ يَغْتَسِلُ مَعَنَا كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَتَعَلَّمُ السِّبَاحَةَ حَتَّىٰ تَعَلَّمَهَا وَعَبَرَ النَّهْرَ فَتَشَجَّعَ وَعَبَرَ مَرَّتَيْنِ.

وَإِذا نَـزَلَتْ أَمْطَارٌ كَثِيْرَةٌ وَفَاضَ النَّهْرُ أَصْبَحَتْ قَرْيَتِيْ شِبْهَ

---

(١) صَدَفَ (ج) أَصْدَاف: غِطاءُ الدرّ.

(٢) قَعْرٌ (ج) قُـعُوْر: منتهى العمق ، يقال: في قَعْرِ البِئْرِ.

(٣) فَاضَ يَفِيْضُ فَيْضاً وَفَيَضَاناً: النهرُ ونحوه: امتلأَ حتى طفَحَ وسَالَ.

جَزِيْرَةٍ يُحِيْطُ بِهَا الْمَاءُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ[1] ، وَتَبْقَىٰ جِهَةٌ وَاحِدَةٌ نَذْهَبُ مِنْهَا إِلَىٰ الْبَلَدِ وَنَشْتَرِي الْحَوَائِجَ مِنَ السُّوْقِ .

وَفِي سَنَةٍ كَانَ فَيَضَانٌ[2] عَظِيمٌ ، فَاضَ الْمَاءُ وَدَخَلَ الْبُيُوتَ وَخَافَ النَّاسُ الْغَرَقَ وَتَرَكْنَا قَرْيَتَنَا وَذَهَبْنَا إِلَىٰ الْبَلَدِ وَلَمْ نَرْجِعْ إِلَّا بَعْدَ شَهْرٍ .

وَيَزُوْرُ قَرْيَتِيْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَالْعُلَمَاءِ لأَنَّهَا قَرْيَةٌ مَشْهُوْرَةٌ وُلِدَ فِيْهَا كَثِيْرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ .

وَعَلَىٰ شَاطِىء النَّهْرِ مَسْجِدٌ قَدِيْمٌ بَنَاهُ جَدُّنَا الْكَبِيْرُ مَضَىٰ عَلَيْهِ ثَلَاثُمِئَةِ سَنَةٍ ، وَيَدْخُلُ فِيْهِ الْمَاءُ فِيْ كُلِّ فَيَضَانٍ وَيَمْكُثُ فِيْهِ الْمَاءُ أَيَّاماً طَوِيْلَةً ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَضْعُفْ .



(١) جِهَات ج جِهَة : ناحية وَجَانِب .

(٢) فَيَضَان (ج) فَيضَانات : سَيْلٌ (ج) سُيُول .

(٢١)

تَـرْنِـيْـمَـةُ الـلَّـيْـلِ

إنَّ الْفِـــرَاشَ النَّــاعِمَـــا فِيْـــهِ تَـنَــامُ دَائِمَـــا

نَـــمْ يَـــا حَبِيْبِـــيْ نَـــمْ آمِنـــاً نَـــمْ آمِنَـــا

رَاحَ النَّهَـــارُ وَاحْتَجَـــبْ مَعَـــهُ الْعَنَـــاءُ[1] وَالتَّعَـــبْ

وَاللَّيْـــلُ بِـــالأَمْـــنِ اقْتَـــرَبْ نَـــمْ آمِنـــاً نَـــمْ آمِنَـــا

بَـاتَـتْ عَصَـافِيْـرُ الْغَـرَدْ[2] فِـيْ حِفْـظِ مَـوْلاَنَـا الصَّمَـدْ[3]

مَـنْ لَيْـسَ يَغْفُـلُ عَـنْ أَحَـدْ نَـــمْ فِـــيْ حِمَـــاهُ[4] آمِنَـــا

---

(١) العَنَاءَ: التَّـعْبِ.

(٢) الغَردُ: الصَدْح.

(٣) الصَّمَد: اسْم من أسماء الله الحسنى.

(٤) الحِمَى: الصيانة، والحفاظ.

نَـمْ آمِنـاً حَتَّـى السَّحَـر مـنْ كُـلِّ ضَيْـمٍ[1] أَوْ كَـدَرْ[2]

نَـمْ فِيْ حِمَىٰ بارِي البَشَـرْ نَـمْ فِـيْ حِمَـاهُ آمِنَـا

(مَدَارِجُ الْقِرَاءَةِ)

* * *

(١) الضَّيْم: الظلم والإذلال.

(٢) الكَدَر: هَمٌّ وغَمٌّ وتَعب.

(٢٢)

مُسَابَقَةٌ بَيْنَ شَقِيْقَيْنِ

قَالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كُنْتُ وَاقِفاً يَوْمَ بَدْرٍ وَغُلَامَانِ مِنَ الأَنْصَارِ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ وَمُعَوِّذُ بْنُ عَفْرَاءَ عَنْ يَمِيْنِيْ وَشِمَالِيْ.

وَالْتَفَتَ إِلَيَّ أَحَدُهُمَا، وَقَالَ لِيْ سِرّاً مِنْ صَاحِبِهِ: «أَيْ عَمِّ! هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ»؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ! وَمَاذَا تُرِيْدُ مِنْهُ يَا بْنَ أَخِيْ؟

قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ، أَرِنِيْهِ يَا عَمِّ! فَإِنِّي أَعْطَيْتُ اللهَ عَهْداً إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوْتَ دُوْنَهُ.

وَقَالَ لِيَ الآخَرُ سِرّاً مِنْ صَاحِبِهِ: أَرِنِيْهِ يَا عَمِّ! فَإِنِّيْ عَاهَدْتُ[١] اللهَ إِنْ عَايَنْتُهُ[٢] أَنْ أَضْرِبَهُ بِسَيْفِيْ حَتَّىٰ أَقْتُلَهُ.

---

(١) عَاهَدَ يُعَاهِدُ الرَّجلُ فلاناً: أي أعطاه عهداً.

(٢) عَايَنَ يُعَايِنُ الرَّجل فُلاناً: أي رآه بعينه.

فَبَيْنَا أَنَا كَذٰلِكَ إِذْ بَرزَ أَبُوْ جَهْلٍ ، فَقُلْتُ: أَلاَ تَرَيَانِ؟ هذَا أَبُوْ جَهْلٍ ، هٰذَا صَاحِبُكُمْ ، فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّىٰ ضَرَبَاهُ.

ثُمَّ انْصَرَفَا[1] إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ.

فَقَالَ: «أَيُّـكُمَا قتلَهُ؟».

قال كلٌّ منهما : أَنَـا قَـتَـلْـتُـهُ.

قَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا»؟

قَالاَ: لاَ!

فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السَّيْفَيْنِ.

فَقَالَ: «كِلاَهُمَا قتلَهُ».

* * *

(١) انْصَرَفَ يَنْصَرِف: ذَهَبَ.

(٢٣)

جـزَاءُ الـوَالِـدَيْـنِ

وُلِدْتُ صَغِيْراً ضَعِيْفاً لاَ أَقْدِرُ عَلَىٰ عَمَلٍ ، لاَ آكُلُ بِنفسِيْ وَلاَ أَشْرَبُ بِنَفْسِيْ ، وَلاَ أَتكَلَّمُ وَلاَ أَفْهَمُ ، فَحَنَتْ[١] عَلَيَّ أُمِّيْ وَأَرْضَعَتْنِيْ وَنَسِيَتْ نَفْسَهَا لِنَفْسِيْ ، وَهَجَرَتْ رَاحتَهَا لِرَاحَتِيْ ، فَكَمْ سَهِرَتِ اللَّيَالِيَ ، وَكَمْ تَعِبَتْ فِي النَّهَارِ ، وَكُنْتُ لَهَا شغْلاً وَحَدِيْثاً ، وَإِذَا مَرِضْتُ طَارَ عَنْهَا النَّوْمُ ، وَمَا ذَاقَتْ طَعَاماً وَلاَ شَرَاباً ، وَإِذَا سَكَتُّ اهْتَمَّتْ وَقَالَتْ: مَا بَالُكَ يا بُنَيَّ! مَاذَا أَسْكَتَكَ؟ لِمَاذَا لاَ تَـتَـكَلَّمُ ، أَتَشْكُوْ وَجَعاً[٢] أَوْ أَغْضَبَكَ أَحَدٌ؟ وَإِذَا بَكَيْتُ جَاءَتْ تَجْرِيْ، وَفِيْ اللَّيْلِ تَـتَـكَلَّمُ مَعِيْ وَتُضَاحِكُنِيْ.

وَلَمَّا دَخَلْتُ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ كَانَتْ تَـتَحَدَّثُ مَعِيْ فِي اللَّيْلِ ، وَقَدْ عَرَفْتُ اللهَ وَرَسُوْلَهُ فِيْ حَدِيْثِهَا ، وَسَمِعْتُ قِصَصاً

---

(١) حَنَا يَحْنُوْ: الأم على ابنها: عَطَفت عليه.

(٢) وَجَع جمع أَوْجَاع: أَلَم (اسم جامع لكل مَرَض وألمٍ).

كَثِيْرَةً ، سَمِعْتُ مِنْهَا وَأَنَا عَلَىٰ فِرَاشِيْ قِصَّةَ إِبْرَاهِيْمَ ، وَكَيْفَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، فَصَارَتْ بَرْداً وَسَلاَماً ، وَكَيْفَ نَشَأَ مُوْسَىٰ فِيْ قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، وَسَمِعْتُ قِصَّةَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَقِصَّةَ حَلِيْمَةَ السَّعْدِيَّةِ وَقِصَصاً جَمِيْلَةً ، وَحَفِظْتُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَالآيَاتِ الأَخِيْرَةَ مِنْ سُوْرَةِ الْبَقَرَةِ وَأَدْعِيَةً كَثِيْرَةً ، فَكُنْتُ عَالِمَ الأَطْفَالِ وَكَانَ أَبِيْ يُحِبُّنِيْ كَثِيْراً ، وَكُنْتُ أَصْغَرَ إِخْوَتِيْ أَبِيْتُ مَعَهُ وَآكُلُ مَعَهُ ، وَإِذَا جَاءَ مِنْ سَفَرٍ اشْتَرَىٰ لِيْ هَدِيَّـةً جَمِيْلَةً ، وَكَانَ النَّاسُ يُحِبُّوْنَنِيْ وَيُقَرِّبُوْنَنِيْ إِلَيْهِمْ لِمَكَانِيْ مِنْ أَبِيْ ، وَقَدْ قَرَأْتُ عَلَىٰ أَبِيْ أَيْضاً ، فَهُوَ لِيْ أَبٌ وَمُعَلِّمٌ.

وَكَانَ يُوْصِيْ أُمِّي أَنْ تَكْسُوَنِيَ[1] يَوْمَ الْعِيدِ لِبَاساً جَدِيْدَاً ، وَإِذَا مَرِضْتُ أَوْ سَقَطْتُّ مِنْ مَكَانٍ أَوْ أَصَابَنِيْ ضَرَرٌ أَوْ أَلَمٌ وَجَاءَهُ الْخَبَرُ طَارَ نَوْمُهُ ، وَسَهِرَ اللَّيْلَ هَمّاً وَحُزْناً ، كَيْفَ أُجَازِيْ[2] هٰذِهِ النِّعَمَ ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ أُجَازِيَهُمَا بِمَالٍ؟ كَلاَّ! فَأَنَا وَمَالِيْ لِوَالِدَيَّ ، نَعَمْ! أَنَا أَخْدِمُهُمَا بِالْمَالِ وَالْبَدَنِ ، بَلْ أَصِلُ أَصْدِقَاءَهُمَا وَأَقَارِبَهُمَا بِالْبِرِّ وَالْمَعْرُوفِ ، وَلٰكِنِّي سَأَدْعُوْ لَهُمَا ، وَأَقُوْلُ دَائِماً فِيْ دُعَائِيْ: «رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً».

---

(١) كَسَا يَكْسُو: أَلْبَسَه ثَوْباً.

(٢) أَجَازَ يُجَازِي: أعطى جائزةً.

وَسَأَجْتَهِدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَغْتَبِطا[1] بِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ النَّاسِ وَأَمَامَ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ وَيَغْبِطُهُمَا أَصْحَابُ الأَوْلَادِ وَيَقُوْلُوْنَ: يَا لَيْتَ لَنَا مِنَ الأَوْلَادِ مِثْلَ مَا أُوْتِيَ فلَانٌ ، إِنَّهُ لَسَعِيْدٌ.

وَسَأَجْتَهِدُ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً يُنَادِيْ بِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ الأَشْهَادِ فَيَقُوْلُ النَّاسُ: مَنْ هُوَ؟ فَيُقَالُ: ابْنُ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ ، فَيَغْتَبِطُ وَالِدَايَ وَيَنْعَمُ بَالِيْ.

وقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ الوَلَدَ إِذَا حَفِظَ الْقُرْآنَ يُتَوَّج[2] وَالِدَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَسَأَجْتَهِدُ فِيْ حِفْظِ الْقُرْآنِ لِيُتَوَّجَ وَالِدَايَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ الشَّهِيْدَ يَشْفَعُ لِسَبْعِيْنَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُنِي الشَّهَادَةَ ، فَأَشْفَعُ لِوَالِدَيَّ قَبْلَ النَّاسِ ، وَبِذٰلِكَ أُجَازِيْ بَعْضَ نِعَمِهِمَا.



---

(١) اغْتَبَطَ يَغْتَبِطُ: فَرِحَ بالنعمة.

(٢) توَّجَ يُتَوِّجُ: أَلْبَسَهُ التَّاجَ.

(٢٤)

أَدَبُ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ

كَانَ عُمَرُ بْنُ أَبِيْ سَلَمَةَ غُلاَماً صَغِيْراً وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيْ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَكَانَ عُمَرُ فِيْ حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَكَانَ عُمَرُ يَأْكُلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا يَأْكُلُ الْوَلَدُ الصَّغِيْرُ مَعَ أَبِيْهِ ، وَكَمَا تَأْكُلُ أَنْتَ مَعَ أَبِيْكَ وَأُمِّكَ.

وَكَانَ عُمَرُ غُلاَماً يَتِيْماً مَاتَ أَبُوْهُ وَهُوَ صَغِيْرٌ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ وَيُعَلِّمُهُ الأَدَبَ.

فَكَانَ يَأْكُلُ مَرَّةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَتْ يَدُهُ تَدُوْرُ فِي الصَّحْفَةِ وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ هُنَا وَهُنَا كَمَا يَأْكُلُ كَثِيْرٌ مِنَ الأَوْلاَدِ.

فَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ يَأْكُلُ وَقَالَ لَهُ: «سَمِّ اللهَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيْكَ».

وَهٰكَذَا يَنْبَغِيْ أَنْ يَأْكُلَ الْمُسْلِمُ ، فَيُسَمِّي اللهَ وَيَأْكُلُ بِيَمِيْنِهِ وَيَأْكُلُ مِمَّا يَلِيْهِ .

وَهٰكَذَا عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ أَدَبَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَأَدَبَ كُلِّ شَيْءٍ ، كَمَا عَلَّمَ عُمَرَ بْنَ أَبِيْ سَلَمَةَ الصَّغِيْرَ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّماً» .

وَقَدْ أَدَّبَ اللهُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَّمَهُ أَدَبَ كُلِّ شَيءٍ فَقَالَ : «أَدَّبَنِيْ رَبِّيْ فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِيْ» .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَا عَابَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ طَعَاماً قَطُّ ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ .

وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : «أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ وَآكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَقَالَ : لاَ آكُلُ مُتَّكِئاً» .

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلاَثَةِ أَصَابِعَ وَإِذَا فَرَغَ لَعِقَهَا .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِذَا أَكَلَ طَعَاماً لَعِقَ(١) أَصَابِعَهُ الثَّلاَثَ ، وَقَالَ : «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا وَلْيُمِطْ عَنْهَا الأَذىٰ ولْيَأْكُلْهَا ، وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ ،

---

(١) لَعِقَ يَلْعَقُ : لَحِسَ الشيءَ بلسانه أو إصبعِه .

وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ[1]، وَقَالَ: إِنَّكُمْ لاَ تَدْرُوْنَ فِيْ أَيِّ طَعَامِكُمُ بَـرَكَةٌ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلاَثاً.

وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيْهِ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَىٰ عَنِ الشُّرْبِ قَائِماً.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا عَنِ الْحَرِيْرِ وَالدِّيْبَاجِ وَالشُّرْبِ فِيْ آنِيَةِ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ، وَقَالَ: هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ.



(١) نسلت القصعة: نَـتَـتَبَّع ما بقي فيها من الطعام، ونمسحها بالأصبع ونحوه.

(٢٥)

شَرٌّ وَخَيْرٌ

شَرُّ الْمَقَالِ الْكَذِبُ	خَيْرُ الْخِصَالِ[١] الأَدَبُ
الْبُخْلُ عَيْبٌ فَاضِحُ[٢]	وَالْجُوْدُ سِتْرٌ صَالِحُ
الْعَقْلُ قَاضٍ عَادِلُ	وَالْعُجْبُ دَاءٌ قَاتِلُ
الْعُمْرُ ضَيْفٌ رَاحِلُ	والْمَالُ ظِلٌّ زَائِلُ
الْبِرُّ لِلْحُبِّ سَبَبْ	إِنَّ الْبَخِيْلَ لاَ يُحَب
طَهَارَةُ الأَخْلاَقِ	مِنْ كَرَمِ الأَعْرَاقِ[٣]
الْكِذْبُ وَالنَّمِيْمَةْ	وَالْغَدْرُ شَرُّ شِيْمَةْ[٤]

(١) خَصْلَةً جمع خِصَال: خُلُق في الإنسانِ يكون حسناً أو سيئاً.

(٢) فَاضِحُ: مخل بالحياء.

(٣) عِرْق جمع أَعْرَاق: أصلُ كلِّ شيء. ويقال: تداركته أعراق صِدق أو سوءٍ، ومجرى الدم في الجسد.

(٤) شِيْمَة جمع شِيَم: غريزة وطبيعة وسجية.

تَـأَنَّ[1] فِـي الأُمُـوْرِ   لاَ سِيَّمَـا السُّـرُوْرِ
وَاعْجَـلْ إِلَـى الْخَيْـرَاتِ   مِـنْ حَـذَرِ الْفَـوَاتِ
مَـالَـكَ غَيْـرُ نَفْسِكَـا   لاَ تَـكُ عَنْهَـا مُمْسِكَـا

(أَبو الـعَتَـاهِيَّـةِ)

* * *

(١) تَـأَنَّـىٰ يَـتَـأَنَّـى: أَمْهَل فُلاناً وتـرَفَّـقَ به.

(٢٦)

يَوْمٌ مَطِيْرٌ

نَزَلَ الْمَطَرُ فِي اللَّيْلِ وَسَالَتِ الطُّرُقُ وَالشَّوَارِعُ ونَشَأَ وَحْلٌ كَثِيْرٌ زَلِقَ بِهِ النَّاسُ وَتَوَسَّخَتِ[١] الثِّيَابُ ، وَإِذَا سَارَتْ سَيَّارَةٌ تَطَايَرَ[٢] الْمَاءُ .

انْقَطَعَ الْمَطَرُ فِي الصَّبَاحِ وَأَمِنَ النَّاسُ ، خَرَجُوْا يَمْشُوْنَ عَلَى الشَّوَارِعِ وَقَدْ تَوَسَّخَتْ ثِيَابُهُمْ بِالْوَحَلِ ، وَزَلَقَ[٣] بَعْضُ النَّاسِ عَلَى الشَّارِعِ وَسَقَطَ فِي الْوَحْلِ[٤] وَضَحِكَ النَّاسُ وَضَحِكَ الرَّجُلُ وَتَوَسَّخَتْ ثِيَابُهُ جِدَّاً .

---

(١) تَوَسَّخَ يَتَوَسَّخُ : عَلاَهُ الوَسَخ ، وهو ما يعلو الثوب وغيره من القذارة .

(٢) تَطَايَرَ يَتَطَايَرُ الشيءُ : تَنَاثَرَ .

(٣) زَلِقَ يَزْلَقُ : زَلَّ .

(٤) وَحَل جمع أوحال ووُحُول : خليط من الطين والماء .

وَكَانَ النَّاسُ يَمْشُوْنَ مُطْمَئِنِّيْنَ إِذْ جَاءَ الْمَطَرُ عَلَىٰ غَفْلَةٍ فَابْتَلَّتِ الثِّيَابُ، وَكَانَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ قَدْ أَخَذُوْا مَعَهُمُ الْمَطْرِيَّاتِ[1] فَنَشَرُوْهَا، وَكُنْتُ تَرَكْتُ مَطْرِيَّتِي فِي الْبَيْتِ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْمَطَرَ قَدِ انْقَطَعَ فَتَأَسَّفْتُ جِدّاً وَجَرَيْتُ وَرَجَعْتُ إِلَىٰ الْبَيْتِ وَقَدِ ابْتَلَّتْ ثِيَابِيْ.

وَلَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ طُوْلَ النَّهَارِ وَلَمْ تَزَلْ فِي السَّمَاءِ غَيْمٌ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْبَيْتِ إِلَّا ذُو حَاجَةٍ، وَسَئِمْتُ الْجُلُوْسَ فِي الْبَيْتِ فَخَرَجْتُ فِي الْعَصْرِ وَأَخَذْتُ الْمَطْرِيَّةَ مَعِيْ وَذَهَبْتُ إِلَىٰ صَدِيْقِيْ مَسْعُوْدٍ، فَوَجَدْتُهُ يُطَالِعُ كِتَاباً.

قُلْتُ لَهُ: أَلَا تَخْرُجُ يَا أَخِيْ نَتَنَزَّهُ وَنَمْشِيْ قَلِيْلاً، أَمَا سَئِمْتَ[2] الْجُلُوْسَ؟

قَالَ مَسْعُوْدٌ: أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَإِلَىٰ الأَرْضِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ الْوَحَلِ؟ هٰذَا لَيْسَ يَوْمَ الْخُرُوْجِ مِنَ الْبَيْتِ، فَتَفَضَّلْ وَتَعَشَّ مَعِيْ.

قُلْتُ: أَمَّا الْجُلُوسُ فَنَعَمْ! وَأَمَّا الْعَشَاءُ فَلَا، فَإِنِّي أُرِيْدُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَىٰ الْبَيْتِ سَرِيْعاً فَلَسْنَا نَدْرِيْ مَتَىٰ تُمْطِرُ السَّمَاءُ.

---

(١) مطْرِية جمع مطريات: أداة كالمِظَلَّة تَحمي الشخص من المطر.
(٢) سَئِمَ يَسْأَمُ: مَلَّ.

وَجَلَسْتُ مَعَ صَدِيْقِي مَسْعُودٍ قَلِيْلاً ، ثُمَّ سَئِمْتُ الْجُلُوْسَ وَالْغَيْمَ ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ وَخَرَجْتُ إِلَىٰ الشَّارِعِ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَمَرَّتْ بِيْ وَتَطَايَرَ الْمَاءُ وَالْوَحْلُ وَتَوَسَّخَتْ ثِيَابِيْ ، وَمَشَيْتُ قَلِيْلاً وَرَجَعْتُ إِلَىٰ الْبَيْتِ ، وَمَا دَخَلْتُ الْبَيْتَ وَمَا وَضَعْتُ الْمَطْرِيَّةَ حَتَّىٰ جَاءَ الْمَطَرُ ، فَحَمِدْتُّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ وَصَلْتُ إِلَىٰ الْبَيْتِ.

وَتَعَشَّيْتُ وَصَلَّيْتُ الْعِشَاءَ وَنِمْتُ وَمَا عَلِمْتُ مَتَىٰ انْقَطَعَ الْمَطَرُ .

وَكَانَتِ الأَمْطَارُ فِيْ هذِهِ السَّنَةِ كَثِيْرَةً وَقَدْ فَاضَتْ أَنْهَارٌ وَجَاءَ السَّيْلُ وَتَهَدَّمَتْ بُيُوْتٌ كَثِيْرَةٌ .



(٢٧)

البَرِيْدُ

(١)

خَالِدٌ: مَاذَا تَكْتُبُ يَا طَارِقُ؟

طَارِقٌ: أَنَا أَكْتُبُ كِتَاباً إِلَىٰ أَخِيْ عَامِرٍ.

خَالِدٌ: سَمِعْتُ أَنَّهُ فِيْ دِهْلِي فَهَلْ أَحَدٌ مُسَافِرٌ؟

طَارِقٌ: لاَ بَلْ يُسَافِرُ كِتَابِيْ.

خَالِدٌ: كَيْفَ يُسَافِرُ كِتَابُكَ يَا طَارِقُ؟

طَارِقٌ: أَنَا أَكْتُبُ الْكِتَابَ ثُمَّ أَضَعُهُ فِي الْغِلاَفِ وَأَكْتُبُ عَلَىٰ الْغِلاَفِ عُنْوَانَ أَخِيْ ثُمَّ أُرْسِلُهُ، اُنْظُرْ هٰذَا غِلاَفُ الْبَرِيْدِ.

خَالِدٌ: وَمَا هٰذَا الشَّكْلُ فِيْ جَانِبِ الْغِلاَفِ يَا طَارِقُ؟

طَارِقٌ: هٰذَا طَابِعُ الْبَرِيْدِ، وَإِذَا أَرَدتُّ أَنْ أَكْتُبَ بِطَاقَةً أَكْتُبُ الْعُنْوَانَ عَلَىٰ وَجْهِ الْبِطَاقَةِ. اُنْظُرْ هٰذِهِ بِطَاقَةٌ وَفِيْ جَانِبِهَا طَابِعُ الْبَرِيْدِ.

خَالِدٌ: وَمَا هٰذِهِ الصُّوْرَةُ يَا طَارِقُ! هٰذِهِ صُوْرَةُ إِنْسَانٍ وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ صُوْرَةَ ذِيْ رُوْحٍ لاَ تَجُوْزُ فِي الإِسْلاَمِ.

طارِقٌ: نَعَمْ! إِذَا كَانَتْ حُكُوْمَةٌ إِسْلاَمِيَّةٌ صَحِيْحَةٌ لَمْ تَكُنْ صُوْرَةٌ عَلَىٰ غِلاَفِ الْبَرِيْدِ وَالْبِطَاقَةِ.

خَالِدٌ: ثُم مَاذَا تَفْعَلُ يَا أَخِيْ إِذَا كَتَبْتَ الْعُنْوَانَ؟

طَارِقٌ: أَضَعُ الْكِتَابَ فِيْ صُنْدُوْقِ الْبَرِيْدِ.

خَالِدٌ: وَمَا صُنْدُوْقُ الْبَرِيْدِ؟

طَارِقٌ: هَلْ رَأَيْتَ صُنْدُوْقاً أَحْمَرَ لَهُ فَمٌ فِيْ مَكْتَبِ الْبَرِيْدِ وَعَلَىٰ الشَّوَارِعِ؟

خَالِدٌ: نَعَمْ! رَأَيْتُهُ كَثِيْراً. وَمَنْ يَأْخُذُ هذَا الْكِتَابَ مِنْ صُنْدُوْقِ الْبَرِيْدِ وَكَيْفَ يَصْنَعُ؟

طَارِقٌ: يَحْمِلُ السَّاعِيْ الْكُتُبَ إِلَىٰ مَكْتَبِ الْبَرِيْدِ فَيُفْرِزُهَا[١] رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ الْبَرِيْدِ، هٰذَا إِلَىٰ دِهْلِيْ وَذٰلِكَ إِلَىٰ كَلْكُتَّا، وَهٰذَا إِلَىٰ الشَّرْقِ وَذٰلِكَ إِلَىٰ الْغَرْبِ وَيَخْتِمُهَا[٢].

---

(١) أَفْرَزَ يُفرِزُ الشيء: عَزَلَه وَنَحَّاه، والأَرضَ: بَيَّنَ حدودَ كُلِّ حصة فيها.

(٢) خَتَمَ يَخْتِمُ الشيء: أَثَّرَ فيه بنقش.

خالد: ثُمَّ مَاذَا؟

طارِقٌ: ثُمَّ تُحمَلُ هٰذِهِ الْكُتُبُ إِلَى الْمَحَطَّةِ ثُمَّ تُوْضَعُ عَلَىٰ الْقِطَارِ ، وَيَحْمِلُهَا الْقِطَارُ إِلَىٰ مَكَانِهَا ، فَكِتَابُ دِهْلِيْ يُسَافِرُ بِهِ قِطَارُ دِهْلِيْ إِلَىٰ دِهْلِيْ ، وَكِتَابُ كَلْكُتَّا يُسَافِرُ بِهِ قِطَارُ كَلْكُتَّا إِلَىٰ كَلْكُتَّا .

خَالِدٌ: وَهَلْ يَحْضُرُ أَخُوْكَ إِلَىٰ مَحَطَّةِ دِهْلِيْ وَيَأْخُذُ كِتَابَهُ؟ وَهَلْ يَعْرِفُهُ نَاظِرُ الْمَحَطَّةِ؟

طَارِقٌ: لاَ يَحْتَاجُ أَخِيْ إِلَىٰ هٰذَا التَّعَبِ ، بَلْ إِذَا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَىٰ مَحَطَّةِ دِهْلِيْ يُنْقَلُ مِنَ الْمَحَطَّةِ إِلَىٰ مَكْتَبِ الْبَرِيْدِ .

خَالِدٌ: فَيَحْضُرُ أَخُوْكَ إِلَىٰ مَكْتَبِ الْبَرِيْدِ وَيَأْخُذُ رِسَالَتَهُ مِنْ مُدِيْرِ الْبَرِيْدِ؟

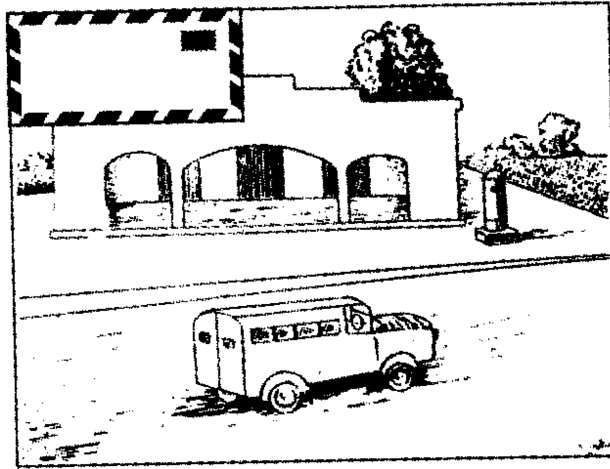
طَارِقٌ: لاَ تَعْجَلْ يَا أَخِيْ! أَنَا أُخْبِرُكَ بِخَبَرِ الْكِتَابِ ، إِذَا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَىٰ مَكْتَبِ الْبَرِيْدِ يُفْرَزُ وَيُخْتَمُ هُنَالِكَ أَيْضاً حَتَّى يُعْرَفَ مَتَىٰ وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَىٰ دِهْلِيْ ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ يَأْخُذُهُ السَّاعِيْ وَيَحْمِلُهُ إِلَىٰ أَخِيْ .



(٢٨)

البـريـد

(٢)



خَالِدٌ: وَكَيْفَ يَـكُوْنُ السَّاعِيْ يَا طَارِقُ؟ أَنَا مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ؟

طَارِقٌ: أَمَا رَأَيْتَ رَجُلاً يَرْتَدِيْ حُلَّةً[١] لَوْنُهَا رَمَادِيٌّ[٢] فِيْهَا أَزْرَارٌ[٣] نُحَاسِيَّةٌ[٤] وعَلَىٰ رَأْسِهِ عِمَامَةٌ يَحْمِلُ حَقِيْبَةً مِنْ جِلْدٍ؟

خَالِدٌ: نَعَمْ! قَدْ رَأَيْتُهُ وَرَأَيْتُ حَقِيْبَةً وَهِيَ مَلآنَةٌ بالأَوْرَاقِ ،

---

(١) حُلَّة جمع حُلَل: ثَوْبَانِ من جنسٍ واحدٍ.

(٢) رَمَادِيٌّ: ما يُشبِه لونه لون الرماد الَّذي يتخلَّف من احتراق المواد.

(٣) زِرّ جمع أَزْرَار: قرص يدخل في عروة الثوب ونحوه.

(٤) نحاسية: من معدن النحاس.

وَأَزْرَارُهُ النُّحَاسِيَّةُ تَلْمَعُ وَعِمَامَتُهُ تَظْهَرُ مِنْ بَعِيدٍ.

طَارِقٌ: ذٰلِكَ هُوَ سَاعِي الْبَرِيْدِ يَا خَالِدُ! وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُوْنَهُ جِدّاً وَيَشْتَاقُوْنَ إِلَيْهِ خُصُوْصاً فِي الْقُرَىٰ، وَأَنْتَ تَنْتَظِرُهُ أَيْضاً إِذَا كَتَبْتَ كِتَاباً وَانْتَظَرْتَ جَوَابَهُ وَإِذَا طَلَبْتَ كِتَاباً مِنْ تَاجِرِ كُتُبٍ.

خَالِدٌ: وَرَأَيْتُ يَا طَارِقُ رَجُلاً آخَرَ يَرْتَدِيْ مِثْلَ حُلَّةِ السَّاعِيْ وَلَهُ أَزْرَارٌ نُحَاسِيَّةٌ وَعَلَىٰ رَأْسِهِ عِمَامَةٌ أَيْضاً وَلٰكِنْ لَيْسَ عِنْدَهُ حَقِيْبَةٌ مِنْ جِلْدٍ، وَهُوَ عَلَىٰ دَرَّاجَةٍ حَمْرَاءَ أَرَاهُ يَذْهَبُ بِسُرْعَةٍ كَأَنَّهُ مُسْتَعْجِلٌ.

طَارِقٌ: هُوَ أَيْضاً سَاعِي الْبَرِيْدِ وَلٰكِنَّهُ لَا يُوَزِّعُ الْكُتُبَ بَلْ يُوَزِّعُ الْبَرْقِيَّاتِ[1] وَيَذْهَبُ عَلَىٰ دَرَّاجَةٍ حَمْرَاءَ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ لِيَصِلَ سَرِيْعاً، فَإِنَّ النَّاسَ لَا يُرْسِلُوْنَ الْبَرْقِيَّةَ إِلَّا لِتَصِلَ سَرِيْعَةً، وَالنَّاسُ يَعْرِفُوْنَهُ بِدَرَّاجَتِهِ الْحَمْرَاءِ.

خَالِدٌ: وَلٰكِنْ كَيْفَ يَقْدِرُ[2] رَجُلٌ وَاحِدٌ أَنْ يُوَزِّعَ الْكُتُبَ فِيْ جَمِيْعِ أَنْحَاءِ الْمَدِيْنَةِ؟

---

(١) بَـرْقِية جمع بَـرْقِيات: تِلِغْرَاف وهي رسالة ترسل من مكان إلى آخر بوساطة جهاز البرق.

(٢) قَدَرَ على عدوه: قوي عليه، وتمكن منه.
قدَّر الشيء: حدد مقداره.

طَارِقٌ: لَا! فِيْ مَكْتَبِ الْبَرِيْدِ رِجَالٌ كَثِيْرٌ وَلِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ أَنْحَاءِ الْمَدِيْنَةِ وَلِكُلِّ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْبَلَدِ سَاعٍ.

خَالِدٌ: وَكَيْفَ يُنْفِقُ مَكْتَبُ الْبَرِيْدِ الأَمْوَالَ الْكَثِيْرَةَ وَكَيْفَ يَخْدِمُ مَجَّاناً؟ وَرِجَالُ الْبَرِيْدِ يَرْتَدُوْنَ حُلَلاً وَيَحْمِلُوْنَ حَقَائِبَ وَيَرْكَبُونَ دَرَّاجَاتٍ، فَمِنْ أَيْنَ تَأْتِيْ هٰذِهِ الأَمْوَالُ؟

طَارِقٌ: إِنَّ مَكْتَبَ الْبَرِيْدِ يَأْخُذُ أُجْرَةً مِنَ كُلِّ مَنْ يُرْسِلُ كِتَاباً بِالبَرِيْدِ.

خَالِدٌ: وَمَا هٰذِهِ الأُجْرَةُ وَمَتَىٰ تَدْفَعُهَا يَا أَخِيْ؟

طَارِقٌ: قَدِ اشْتَرَيْتُ هٰذَا الطَّابِعَ[1] مِنْ مَكْتَبِ الْبَرِيدِ وَهٰذِهِ هِيَ أُجْرَةُ الْبَرِيْدِ.

خَالِدٌ: أَشْكُرُكَ عَلَىٰ هٰذَا الْحَدِيْثِ الْمُفِيْدِ، وَسَأَكْتُبُ إِلَىٰ أَخِيْ وَصَدِيْقِيْ جَمِيْل، وَسَأُرْسِلُ الْكِتَابَ بِالْبَرِيْدِ، وَإِذَا كَتَبْتُ الْكِتَابَ جِئْتُكَ بِهِ فَتَرَاهُ وَتُصْلِحُهُ.

طَارِقٌ: حُبّاً وَكَرَامَةً، يَسُرُّنِيْ أَنْ أُسَاعِدَكَ.

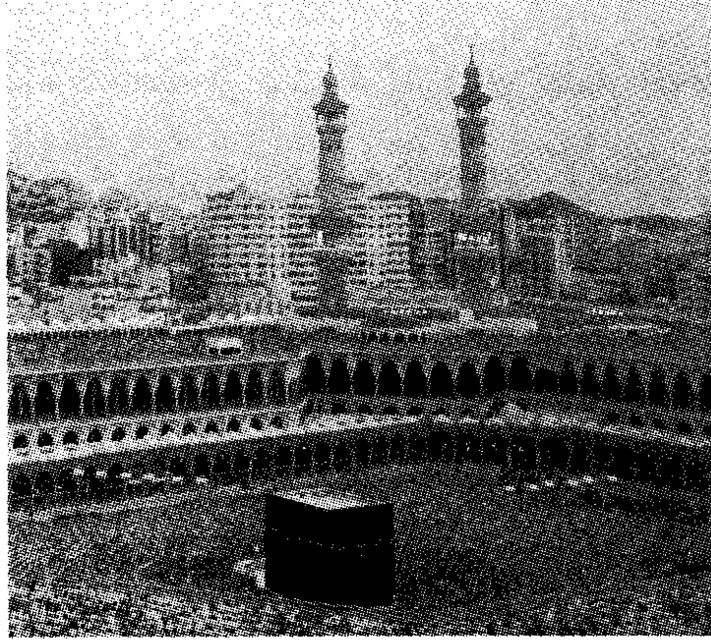


(١) طابع البريد: بطاقة صغيرة ذات رسم تحدد الدولة سعرها تلصق بظرف الرسائل رمزاً لأداء أجر الإرسال، ونحوه الطابع المالي، والطابع العقاري.

(٢٩)

مَـنْ يَـضَـعُ الْـحَـجَـرَ ؟

(١)



إِنَّـكُمْ لَتَعْرِفُوْنَ هذَا الْبِنَاءَ ، وَمَنْ فِي الدُّنْيَا لاَ يَعْرِفُ هذَا الْبِنَاءَ؟ إِنَّـكُمْ تَـتَـوَجَّهُوْنَ[١] إِلَيْهِ فِي الصَّلاَةِ ، وَيُسَافِرُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَيَطُوْفُوْنَ فِي الْحَجِّ .

---

(١) تـوَجَّهَ يَـتَوَجَّـهُ إلى المكان : قَصَده وذهب إليه .

الْكَعْبَـةُ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِعِبَادَةِ اللهِ ، بَنَاهَا إِبْرَاهِيْمُ خَلِيْلُ اللهِ فِيْ مَكَّةَ وَفِيْهَا حَجَرٌ أَسْوَدُ يُقَبِّلُهُ النَّاسُ فِي الْحَجِّ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُـقَبِّلُهُ .

وَبَعْدَ زَمَنٍ طَوِيْلٍ أَرَادَ أَوْلَادُ إِبْرَاهِيْمَ وَهُمْ قُرَيْشٌ أَنْ يَبْنُوْا بِنَاءَ الْكَعْبَةِ مِنْ جَدِيْدٍ فَإِنَّهُ كَانَ بِنَاءً قَدِيْماً قَدْ سَقَطَ سَقْفُهُ[1] ، وَضَعُفَتْ جُدْرَانُهُ ، فَجَمَعَتْ قُرَيْشٌ الْحِجَارَةَ وَالْخَشَبَ لِبِنَائِهَا وَبَنَتْ قُرَيْشٌ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ مِنْ جَدِيْدٍ .

وَلَمَّا تَمَّ بِنَاءُ الْكَعْبَةِ أَرَادَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِيْ مَحَلِّهِ فَاخْتَصَمَتْ قُرَيْشٌ فِيْ وَضْعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِيْ مَحَلِّهِ ، كُلُّ قَبِيْلَـةٍ تُرِيْدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إِلَىٰ مَوْضِعِهِ لِأَنَّهُ شَرَفٌ عَظِيْمٌ ، كُلُّ قَبِيْلَةٍ حَرِيْصَةٌ عَلَىٰ أَنْ تَـنَـالَ هٰذَا الشَّرَفَ .

كُلُّ قَبِيْلَةٍ حَرِيْصَة عَلَىٰ أَنْ تَـنَـالَ هٰذَا الشَّرَفَ وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ لَا يُمْكِنُ لِأَنَّ الْحَجَرَ وَاحِدٌ وَالْقَبَائِلَ كَثِيْرَةٌ .

وَاخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ كَثِيْراً وَتَـنَـازَعَتْ وَكَانَ الْعَرَبُ يُقَاتِلُوْنَ لِأَدْنَىٰ[2] شَيْءٍ وَلِغَيْرِ شَيْءٍ ، يَتَقَدَّمُ فَرَسٌ فَيُقَاتِلُوْنَ ، وَيَسْبِقُ أَحَدٌ

---

(١) سقف جمع سُقُوف: غطاء المنزل ونحوه ، وهو أعلاه المقابلُ لأَرْضه .

(٢) أَدْنَىٰ : أقلّ .

فَيَسْقِيْ فَرَسَهُ أَوْ بَعِيْرَهُ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُوْنَ ، وَلاَ يَزَالُوْنَ يُقَاتِلُوْنَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً وَخَمْسِيْنَ سَنَةً ، فَلِمَاذا لاَ يُقَاتِلُوْنَ عَلَىٰ هٰذَا الشَّرَفِ؟ وَإِنَّهُ لَشَرَفٌ عَظِيْمٌ.

وَقَربَتْ قَبِيْلَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ جَفْنَةً[1] مَمْلُوءَةً دَماً ثُمَّ تَحَالَفَتْ[2] مَعَ قَبِيْلَةٍ أُخْرَىٰ عَلَىٰ الْمَوْتِ وَأَدْخَلُوْا أَيْدِيَهُمْ فِيْ ذٰلِكَ الدَّمِ وَقَالُوا: لا نَتْرُكُ هٰذَا الشَّرَفَ أَوْ نَمُوْتَ.

وَكَانَ هٰذَا شَرّاً كَبِيْراً وَخَطَراً عَظِيْماً وَالْمَوْتُ شَيْءٌ هَيِّنٌ[3] لِلْعَرَبِ فِيْ سَبِيْلِ الْحَقِّ وَالشَّرَفِ.

إِذاً لا بُدَّ مِنَ الْحَرْبِ ، وَالْحَرْبُ مَشْؤُومَةٌ جِدّاً.



(١) جَفْنَة جمع جَفَـنَات وجِفَان: الوعاءُ يُصْنَع من خزف ونحوه.
(٢) تَحَالَفَ يَتَحَالَفُ: تعاهَدَ.
(٣) هَيِّنٌ: سَهْلٌ.

(٣٠)

مـنْ يَـضَـعُ الْـحَجَـرَ؟

(٢)

وَمَكَثَتْ قُرَيْشٌ عَلَىٰ ذٰلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْساً ثُمَّ إِنَّهُمْ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَتَشَاوَرُوا[١].

تَشَاوَرُوا وَقَالُوا: مَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ فِيْ مَحَلِّه؟ كُلُّ قَبِيْلَةٍ حَرِيْصَةٌ عَلَىٰ أَنْ تَـنَـالَ هٰذَا الشَّرَفَ، وَالْحَجَرُ وَاحِدٌ، وَالْقَبَائِلُ كَثِيْرَةٌ.

إِذاً لَا بُدَّ مِنَ الْحَرْبِ وَالْحَرْبُ مَشْؤُومَةٌ[٢] جِدّاً.

قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَا بَأْسَ[٣] بِالْحَرْبِ فَالْمَوْتُ شَيْءٌ هَيِّنٌ لِلْعَرَبِ فِيْ سَبِيْلِ الْحَقِّ والشَّرَفِ.

---

(١) تَشَاوَرَ يَتَشَاوَرُ القومُ: شَاوَرَ بَعْضُهم بعض.

(٢) مشؤوم، مشؤومة جمع مَشَائِيم: من أَصَابه الشؤم.

(٣) لابأس: لا مانع أو عيب فيه.

قَالَ العُقَلاَءُ: نَعَمْ! لاَ بَأْسَ بِالْحَرْبِ وَلٰكِنْ لاَ حَاجَةَ إِلَىٰ الحَرْبِ فِي هذَا الْوَقْتِ.

ولٰكِنْ مَا هُوَ الطَّرِيْقُ؟ وَكَيْفَ يُوْضَعُ الْحَجَرُ الأَسْوَدُ فِي مَحَلِّه بِغَيْرِ قِتَالٍ؟

تَشَاوَرُوْا وَتَشَاوَرُوْا وَتَشَاوَرُوْا كَثِيراً وَوَجَدُوْا الطَّرِيْقَ.

قَالَ شَيْخٌ وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ سِنّاً: أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هٰذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِيْ بَيْنَكُمْ، فَقَبِلُوْا وَرَضُوْا بِذٰلِكَ.

تَعْرِفُوْنَ مَنْ كَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ؟ كَانَ أَوَّلُ دَاخِلٍ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هذَا الأَمِيْنُ رَضِيْنَا[1]، هٰذَا مُحَمَّدٌ!

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوْهُ الْخَبَرَ طَلَبَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ ثَوْباً فَأُتِيَ بِهِ، فَأَخَذَ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ فَوَضَعَهُ فِيْهِ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ:

لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيْلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ثُمَّ ارْفَعُوْهُ جَمِيْعاً، فَفَعَلُوْا حَتَّى إِذا بَلَغُوا مَوْضِعَهُ وَضَعَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ فِيْ مَحَلِّهِ بِيَدِهِ، وَهٰكَذَا دَفَعَ[2] رَسُوْلُ اللهِ ﷺ هٰذَا الشَّرَّ وَمَنَعَ الْحَرْبَ.

* * *

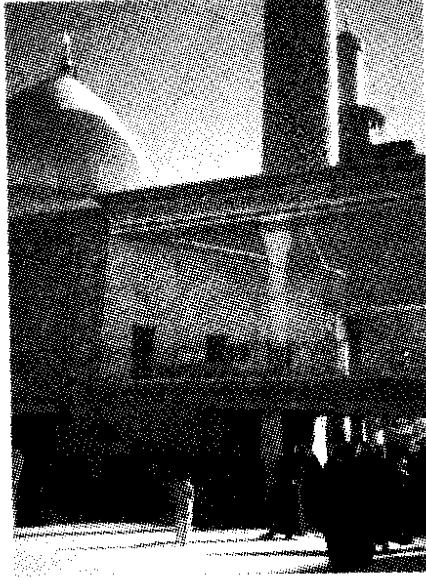
---

(١) رَضِينا: ضدّ سخط.

(٢) دَفَعَ يَدْفَعُ الشرَّ: رَدَّه.

(٣١)

يَوْمُ الْعِيْدِ



كانَ أَمْسِ يَوْمُ العِيْدِ ، اجْتَمَعَ النَّاسُ وَالأَطْفالُ عِنْدَ الْغُرُوبِ يَتَرَاؤونَ[١] الْهِلَالَ ، وَصَعِدُوا عَلَىٰ سُقُوفِ الْبُيُوتِ وَالسُّطُوحِ وَعَلَىٰ المَنَارَاتِ .

ظَهَرَ الْهِلَالُ فَهَتَفَ[٢] الأَوْلَادُ : «الْهِلَالُ ، الْهِلَالُ» وَجَرَوْا إِلَىٰ بُيُوْتِهِمْ وَسَلَّمُوْا عَلَىٰ آبائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَعَلَىٰ الأَقَارِبِ ،

---

(١) تَـرَاءَى يَـتَراءَى القوم: رَأى بعضهم بعضاً. الشيءُ: ظَهَرَ وبَدَا.

(٢) هَتَفَ يَهْتِفُ: صَاحَ.

فَدَعَوْا لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ وَطُوْلِ الْعُمُرِ.

وَنَامَ الأَطْفَالُ لَيْلَةَ الْعِيْدِ قَلِيْلاً، وَاسْتَيْقَظُوْا مُبَكِّرِيْنَ وَقَدْ نَظَرُوْا إِلَىٰ مَلاَبِسِهِمْ وَأَحْذِيَتِهِمْ وَقَلاَنِسِهِمْ[1] مِرَاراً عَدِيْدَةً.

وَلَمَّا كَانَ صَبَاحُ الْعِيْدِ قَامُوا مِنْ فُرُشِهِمْ وَصَلَّوُا الصُّبْحَ وَاغْتَسَلُوْا وَغَيَّرُوْا مَلاَبِسَهُمْ، وَلَبِسَ كَثِيْرٌ مِنْهُمْ مَلاَبِسَ جَدِيْدَةً وَأَحْذِيَةً جَدِيْدَةً وَقَلاَنِسَ جَمِيْلَةً، وَرَأَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ فَفَرِحْنَ بِهِمْ، وَقَدَّمَ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَأَقَارِبُهُمْ جَائِزَةَ الْعِيْدِ.

وَكَانَ وَلَدٌ يَتِيْمٌ تَخْدِمُ أُمُّهُ فِيْ بَيْتِ سَعِيدٍ وَلَيْسَ عِنْدَهُ لِبَاسٌ جَدِيْدٌ وَلاَ حِذَاءٌ جَدِيْدٌ وَلاَ قَلَنْسُوَةٌ نَظِيْفَةٌ، فَاغْتَسَلَ وَلَبِسَ لِبَاسَهُ الْقَدِيْمَ وَقَدْ تَشَقَّقَ[2]، وَلَبِسَ قَلَنْسُوَتَهُ الْقَدِيْمَةَ وَقَدْ تَوَسَّخَتْ، وَكَانَ يَنْظُرُ إِلَىٰ أَتْرَابِهِ[3] وَإِلَىٰ أَوْلاَدِ الأَغْنِيَاءِ بِغِبْطَةٍ[4] وَخَجَلٍ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مَحْزُونَةً تَذْكُرُ أَبَاهُ.

حَزِنَ سَعِيدٌ بِهذَا الْمَنْظَرِ وَاسْتَحَىٰ فِيْ نَفْسِهِ فَأَسْرَعَ إِلَىٰ صُنْدُوْقِهِ وَأَهْدَىٰ إِلَيْهِ مَلْبُوساً نَظِيْفاً وَقَلَنْسُوَةً نَظِيْفَةً، فَذَهَبَ الْيَتِيْمُ

---

(١) قَلَنْسَوَة جمع قَلاَنِس: لباس للرأس.

(٢) تَشَقَّقَ يَتَشَقَّقُ: تَصَدَّع وَبدتْ شقوقه.

(٣) تِرْبٌ جمع أَتْـرَاب: المماثل في السنّ (للمذكر والمؤنث).

(٤) غِبْطة: مَسَرَّة، حُسن الحال.

وَغَيَّـرَ اللِّبَاسَ وَفَرِحَ كَثِيْراً وَفَـرِحَتْ أُمُّهُ ، وَدَعَتْ لِسَعِيْدٍ بِالبَرَكَةِ وَطُوْلِ الْعُمُرِ.

وَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ خَرَجَ النَّاسُ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ وَكَانَ مَنْظَراً جَمِيْلاً يَقُوْلُوْنَ: «اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ، وللهِ الْحَمْدُ».

وَصَلَّىٰ الإِمَامُ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ خَطَبَ ، وَرَجَعَ النَّاسُ مِنَ الْمُصَلَّىٰ بِطَرِيْقٍ آخَرَ ، وَزَارَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَضَيَّفَ[١] بَعْضُهُمْ أَصْدِقَاءَهُمْ ، وَهَنَّأَ كُلُّ مُسْلِمٍ صَدِيْقَهُ وَقَالَ: «عِيْدٌ سَعِيْدٌ» كُلّ عَامٍ وَأَنْتُمْ بِخَيْرٍ.

وَكَانَ صَبَاحُ الْعِيْدِ جَمِيْلاً ، وَفِي الْعَصْرِ ذَكَرَ النَّاسُ رَمَضَانَ وَفُطُوْرَهُ ، وَفِي اللَّيْلَ ذَكَرُوا التَّرَاوِيحَ ، وَشَعَرُوْا كَأَنَّهُمْ فَقَدُوْا شَيْئاً أَوْ ضَاعَ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ:

«الْعِيْدُ سَاعَاتٌ وَرَمَضَانُ كُلُّهُ عِيْدٌ».

* * *

---

(١) ضَيَّـفَ يُـضَيِّـفُ: أَضَافَهُ وَأَنْـزَلَه عنده.

فهرس الموضوعات